Adab Al-Rafidain

https://radab.mosuljournals.com

The Manifestation Of Nomadism In Al-Hussein Ibn Muteer Al-Asadi's Poetry

Younis Ibrahim Ahmed Al-Ezy

Lect./ Akre University For Applied Sciences /College of Education/ Akre

Article Information

Article History:
Received October 05, 2023
Reviewer November 04 .2023
Accepted November 20, 2023
Available Online March1 , 2024

Keywords:
The Manifestation,
Nomadism
Abbasid Poetry
Al-Hussein Ibn Muteer Al-Asadi

Correspondence:
Younis Ibrahim Ahmed Al-Ezy
alizzy1981@gmail.com

Abstract

This research deals with nomadism in Al-Hussein Ibn Muteer Al-Asadi's poetry, who lived through Umayyad and Abbasid reign. He was Born around the year (100 a.h.) and died in the year (170 a.h)

This paper researches the manifestation of nomadism in Al-Asadi'd poetry through language and style, description and imaging, and aims and subject matters. Therefore, the necessity of this research methodology needs to divide this paper into two sections. The first section deals with (aspects of nomadism in Al-Hussein Ibn Muteer poetry) through studying his poetic aims which is dominated by the nature of nomadism such as description, philandering, nostalgia and lamentation**.**

The second section is designated to study (the manifestation of nomadism on Al-Hussein Ibn Muteer's Poetry), thus nomadism nature and life style has influences and reflections on his poetry. These influences and reflections are very clearly manifested in three matters: his poetry devoid of the purpose satire, his collection of poems devoid of political poems, and the loss of his poems and obscurity**.**

This research comes to conclusion that nomadism is prominent manifestation of Al-Hussein Ibn Muteer's poetry and that Al-Muteer was a poet who was imbued body and soul, language and style, and description and imaging with nomadism**.**

DOI: 10.33899/radab.2023.143761.2005©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

البـــداوة : مظاهرُها وتجلّياتُها في شعر الحسين بن مُطير الأَسدي

يونس إبراهيم أحمد العِزّي *

المستخلص

يعالج هذا البحث مظاهر البداوة وتجلّياتها في شعر الحسين بن مُطير الأسدي, وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، ولد في حدود سنة (100هـ) وتوفي سنة (170هـ)، وقد حاول البحث تتبع موضوع البداوة في شعره بمستويات اللغة والأسلوب، والوصف والتصوير, والأغراض والموضوعات، ومن هنا فقد اقتضت منهجية البحث تقسيم الدراسة إلى مدخلٍ ومحورينِ، عالج المدخل مفهوم مصطلح البداوة وأسباب حضورها في نِتاج الشاعر، فيما تناول المحور الأول: (مظاهر البداوة وتجلّياتها في الوصف الشعري عند الحسين بن مُطير الأسدي)، وذلك من خلال دراسة الموضوعات الشعرية التي تضمّنها غرض الوصف بوصفه أكبر أبواب الشعر العربي، ومن تلك الموضوعات التي تجلّت فيها صور البداوة ومظاهرها؛ وصف مشاهد الرحيل

* مدرس / جامعة عقرة للعلوم التطبيقية/ كلية التربية- عقرة

والأظعان، ووصف الرحلة، ووصف الأطلال البالية والوقوف عليها، ووصف الإبل، ووصف نبات الصحراء، ووصف السحاب والمطر، في حين أُفرد المحور الثاني لدراسة: (مظاهر البداوة وتجلّياتها في الأغراض والموضوعات الشعرية الأخرى عند الحسين بن مُطير)، والتي طغى عليها طابع البداوة؛ كالغزل، والحنين، والرثاء، والهجاء، إذ إنّ البداوة بوصفها طابعاً وسلوكَ حياة, كان لها أثرٌ وانعكاسات على شعره، وقد تجلّى ذلك في خلو ديوانه من الشعر السياسي، وضياع شعره وخمول ذكره، وقد توصّل البحث إلى أنَّ البداوة هي من أبرز مظاهر شعر الحسين بن مُطير الأسدي وخصائصه، فقد كان شاعراً تشرَّبت به البداوة روحاً وجسداً، ولغةً وأسلوباً, وتصويراً وتعبيراً.

ومن هنا، يجد الباحث أنَّ استعمال المنهج الوصفي التحليلي هو الأصلحُ لِدراسة البداوة في شعر الحسين بن مُطير الأسدي، من خلال بيان مفهوم البداوة، ودراسة مظاهرها وتجلّياتها في الأغراض والموضوعات الشعرية، عن طريق تحليل النصوص واستنطاقها على وفق رؤية نقدية.

الكلمات المفتاحية: البداوة، المظاهر، التجلّيات، الشعر العباسي، الحسين بن مُطير الأسدي.

❖ مدخل: مفهوم البداوة وأثرها في شعر الشاعر

أولاً: مفهوم البداوة

البداوة لغةً بفتح الباء وكسرها "الإقامة في البادية، وهو ضد الحضارة، قال ثعلب: لا أعرف الفتح إلّا عن أبي زيد وحده، والنسبة إليها (بَدَاوي)... و (تبدَّى) الرجل أقام بالبادية، و(تبادى) تشبّه بأهل البادية"[1], وسُمِّيت "البادِيَةُ بادِيَةً لِبُرُوزِها وظهورِها، وقيل لِلبَرِّيَّةِ بادِيَة لكونِها ظَاهِرَةً بارِزَةً"[2]، وجاء في المعجم الوسيط أنَّ (البداوة) "الحَيَاة فِي الْبَادِيَة، ويغلب عَلَيْهَا التنقل والترحال... (البدو) البَادِيَة وأهل الْبَادِيَة"[3].

وبهذا يتضح أنَّ لفظ (البداوة) مصدر على وزن (فَعَالة) للفعل الثلاثي (بَدَا) أو (بدأ)، والذي يَدُلُّ أصل معناهما على البروز والظهور، وبداية الشيء وأوّله، يقال: بدا الشيء يبدو بدواً إذا برز وظهر، والبادئ الظاهر والأوّل، وسميت البادية بادية لبروزها وظهورها أو لكونها الطور الأول من النشأة[4].

أمَّا اصطلاحاً، فقد ارتبط تعريف مصطلح (البداوة) دائماً بالنظرة المادية التي تُفرّق بينه وبين مصطلح (الحضارة)، وهذا ما ذهب إليه العلّامة عبد الرحمن بن خلدون في مَعرَض حديثه عن الحَدِّ الفاصل بين البداوة والحضارة، فقال: "أهل البدو هم المُنتحِلون للمعاش الطبيعي من الفَلح والقيام على الأنعام، وأنَّهم مقتصرونَ على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد، ومُقَصِّرونَ عَمَّا فوق ذلك من حاجي أو كمالي... وأنَّ الحضر المُعتَنونَ بحاجاتِ التَّرفِ والكَمالِ في أحوالهم وعوائدهم، ولا شك أنَّ الضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليهما؛ لأنَّ الضروري أَصلٌ والكمالي فَرعٌ ناشئ عنه، فالبدو أصلٌ للمُدنِ والحَضرِ وسابقٌ عليهما؛ لأنَّ أوّلَ مطالب الإنسانِ الضروري، ولا ينتهي إلى الكمالِ والترفِ إلَّا إذا كان الضروري حاصلاً، فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة"[5].

والنظرةُ الماديةُ واضحةٌ في هذا التعريف الاصطلاحي، وقد تَبِعَ ابنَ خلدون مَن جاء بعده من علماء الاجتماع[6]، ومثلهم نُقّاد الأدب، ومِن هنا، فقد عرّفوا مصطلح البداوة بقولهم: "أمَّا البدو، فهم قومٌ رُحَّلٌ يسكنون الخيام، ولا يقرون في مكان، ينتجعون الكلأ، ويتتبعون مساقط الماء ومنابت العشب، يرحلون إليها بأنعامهم التي يغتذونَ بلحومها وألبانها، ويكتسون بأصوافها وأوبارها، وهم – لجدب بلادهم، وانصرافهم عن أوجه التكسب الأخرى – كانوا يقنعون من العيش بالكَفَاف، ولا يفتنون في المطاعم والملابس، بل كانوا يعيشون غالباً على اللبن والتمر واللحم، ولِقِلَّة مواطن الكلأ لديهم، وميلهم إلى الانتقام والأخذ بالثأر، كَثُرَت الحروب بينهم كثرةً مفزعة، وكانت نيرانها لا تخبو إلّا لتشتعل، وكانوا يأنفون من الاشتغال بالزراعة والصناعة، ويرون أنَّهم لم يُخلَقوا إلّا للقتال ولم يعدهم الدهر إلّا للصِراع والنِزال، وأنَّه لا ينبغي أن يتناولوا رزقهم إلّا من سيوفهم ورماحهم، ولم يكن لديهم سوى نظام القبيلة، والقبائل العربية كانت متعادية، متنافرة" [7].

ويذهب الدكتور شوقي ضيف إلى أنَّ (البداوة) طورٌ طبيعيٌ من أطوار الحياة البشرية، ولا بُدَّ للإنسان أن يَمُرَّ بها قبل الانتقال إلى طور الحضارة، إذ يقول: "وقد مَرَّ الفُرسُ والرومُ بطور بداوةٍ كما مَرَّ العرب، ولم يكن لهم فيه حضارة ولا نظر علمي دقيق"[8].

وقد استطاع الدكتور ناصر الدين الأسد أن يضع تعريفاً جامعاً للبداوة حين قال: "البادية عند العرب تَدُلُّ على المكان أو مَن يَنزِلُه، وهي كلمةٌ عامةٌ يُقصد بها كُلّ ما هو خارج المدينة أو الحضر المستقر الثابت في المدر[*]،... ولكنَّ هذه اللفظة قد تُخَصَّصُ وتُـقَـيَّـدُ، فتقتصر في دلالتها على ظواهر المدن[*] والقُرى وضواحيها، القريبة منها، المُطيفة بها"[9].

هذا وقد تتبّع الدكتور ناصر الدين الأسد في بحثه مصطلح (البداوة) في مصادر مُتعدِّدة، ومن عصورٍ شَتّى، يُفهَمُ من جُملتِها "أنَّ كُلَّ ما ليس بمدينةٍ أو قريةٍ فهو البادية أو صحراء تمشياً مع الدلالة اللغوية المحض لـ(بدا) و(أصحر)، وأنَّ كُلَّ مَن لم يكن

يَسكُنُ المدينةَ أو القريةَ مُستَقِرّاً فيها فهو بدوي أو أعرابي، مهما يَكُن بُعدُهُ عنها ومهما تختلف بيئتُهُ وأحوالُ مَعاشِهِ وحياتِهِ الاجتماعية"[10]، وهذا هو التعريف الذي يراه الباحث متماشيًا مع توجهات البحث، والمفهوم الذهني العام للبداوة عند العرب.

ثانياً: أثر البداوة في شعر الشاعر

إنَّ ارتباط (الإنسان/ الأديب) بمحيطه أمرٌ لا مناصَ منه، لِما تنشأُ بين الإنسان وبيئته من علاقة تفاعلية جدلية لا يمكن معها الفصل بينهما، فهل الإنسان هو الذي يُشَكِّلُ البيئة ويضفي عليها من إنسانيته؟ أم أنَّ البيئة هي التي تُشَكِّلُ الإنسان من خلال تحديد مدركاته الحسية والثقافية؟ والحقيقة أنَّ العلاقة بين الإنسان وبيئته علاقة تكاملية وجودية، تَتَجَلَّى فيها ملامح التأثير التبادلي، مع الإقرار بشيءٍ من الهيمنة للعامل الجغرافي والبيئي الذي يعيش فيه الإنسان[11].

وهو أمرٌ تَـنَبَّـهَ له النقاد العرب القدماء؛ ومنهم ابن رشيق القيرواني، الذي يقول في معرض حديثه عن أثر البيئة في الشعر: "ومَقاصِدُ الناس تختلف؛ فطريق أهل البادية ذكر الرحيل والانتقال، وتوقُّع البَين، والإشفاق منه، وصفة الطلول والحمول، والتشوّق بحنينِ الإبلِ ولَمعِ البروقِ ومَرّ النسيم، وذكر المياه التي يلتقون عليها، والرياض التي يَحُلُّون بها من خُزامى، وأُقحوان، وبهار، وحنوة، وظيان، وعرار، وما أشبهها من زهر البرية الذي تعرفه العرب، وتُنبِئُه الصحاري والجبال، وما يلوح لهم من النيران في الناحية التي بها أحبابهم، ولا يعدون النساء إذا تغزلوا ونسبوا... وأهل الحاضرة يأتي أكثر تَغزُّلهم في ذكر الصدود، والهجران، والواشين، والرُّقَباء، ومنعة الحرس والأبواب، وفي ذكر الشراب والندامى، والورد والنسرين والنيلوفر، وما شاكل ذلك من النواوير البلدية، والرياحين البستانية"[12].

ويُفهَمُ من كلام ابن رشيق أنَّ البيئة هي التي تُحَدِّدُ للشاعر معانيه وأفكاره واتجاهاته، لذلك قَسَّمَ ابن رشيق الشعر إلى طريقتين: طريقة أهل البادية، وطريقة أهل الحاضرة، وكُلُّ شاعرٍ يصف واقعه وبيئته، وإنْ وَصَفَ شاعرٌ غَيرَ بيئته فمن باب التشبيه والتقليد[13]، ولكن هل معنى هذا أنَّ دَورَ الأديب يقتصر على التقليد والمحاكاة؟[14] بالطبع لا، وإلّا فأين إذن ذاتيته وإبداعه؟ أو ما يضيفه على بيئته وواقعه؟ فالأديب لا ينقل إلينا الواقع نقلاً حرفياً، بل إنه يُجمِّل الواقع، ويُحَسِّنُ عناصره، ويُضيف إليه من نفسيته ونظرته إلى الكون والوجود، وبذلك يتغلب على البيئة ويعطيها امتداداً فنياً ليس فيها[15].

وإذا كانت البداوة هي الإقامة في البادية، فمِمّا لا شَكَّ فيه أنّها ستترك أثراً في نفوس أهلها, ولغتهم, وأسلوب حياتهم, ولا سِيّما إن كان شاعراً, فـ"الأديب ابن بيئته"[16], كما أنَّ "الكائنات الحَيةِ عامةً والآدميين خاصة، وبالذات الشعراء منهم، يخضعون لتأثير البيئة التي يعيشون فيها"[17]، ولمّا كان الشاعر (الحسين بن مُطير الأسدي) من أهل البادية, فمن الطبيعي أن يكون للبداوة مظاهر وتجلّيات في شعره, تحتاج كشفاً وتحليلاً على وفقِ رؤيةٍ نقدية.

ولمّا كان العصر العباسي قد شهد تطوراً في ميادين الحياة جميعها, وكانت الحضارة بجوانبها المختلفة هي السِمة الأبرز والمظهر الأشهر في هذا العصر، فمن اللافت للنظر والجدير بالذكر أن نجد شاعراً يعيش في أوج الحضارة العباسية ولكنَّ البداوة تسكنه قلباً وقالباً، جسداً وروحاً, لفظاً ومعنى، تعبيراً وتصويراً.

فبالوقت الذي كان يسعى فيه أبو نواس ورفاقه المُجدِّدونَ – بِكُلِّ عَزمٍ وحَزم – إلى تجديد القصيدة العربية باستبدال كثيرٍ من عناصرها القديمة، كاللغة والأسلوب وهيكلية القصيدة وبنائها ولا سِيّما المقدمة، فقد دعا أبو نواس ورفاقه علناً إلى ترك لغة الصحراء ومفرداتها والاستعاضة عنها بألفاظ الحضارة العباسية التي تتّسِم بالعذوبة والرشاقة، كما دعوا إلى ترك المقدمة الطللية أو الظعنية التي افتتح بها الشعراء العرب الأوائل معظم قصائدهم واستعاضوا عنها بمقدمات في وصف الخمرة أو وصف الطبيعة الخلابة التي حفلت بها القصور العباسية[18]، في هذا العصر الذي طغت عليه معالم الحضارة المدنية الجديدة، كان الحسين بن مُطير الأسدي يزداد تشبثاً بالبداوة ليظهر ذلك ويتجلّى في حياته طابعاً وسلوكاً وخُلُقاً، وفي شعره لغةً وأسلوباً، وتعبيراً وتصويراً، وأغراضاً شعرية.

فأمّا مظاهر البداوة في حياة الشاعر وأثر ذلك في شعره، فقد تجلّت في أمرينِ؛ الأول: خلو ديوانه من الشعر السياسي، وهو من تجلّيات البداوة وانعكاساتها، فابتعاد الحسين بن مُطير الأسدي عن العاصمة والحواضر كان سبباً - أيضاً - في عدم وجود شعر سياسي له[19], على نُدرة الشعراء الذين لم ينغمسوا في الخصومات السياسية والحزبية في عصره، بتأثير نشأتهم في المدن التي كانت مراكز لهذه الخصومات والتيارات المختلفة، أو بتأثير كثرة تردُّدِهم عليها[20]، والثاني: ضياع شعره وخمول ذكره، فعلى الرَّغم من أنَّ الحسين بن مُطير كان كثيرَ النظم، جَيدَ الشعر، نَابِهَ الذكر، يشهد له بذلك نقاد وأدباء عصره، فهذا ابن المعتز يقول بأنَّ الحسين كان: "من المُكثِرينَ المُجيدينَ المَعروفينَ"[21]، وذكر ابن النديم أنَّ للحسين ديواناً في نحو مائة ورقة[22].

ولكنَّ هذا الشعر قد ضاع معظمه، أو سقط من أيدي الزمن، كغيره من كنوز العربية وتراثها الأدبي، ولم يبقَ منه إلّا جزءٌ يسيرٌ جمعه وحقّقه الدكتور محسن غياض تحت عنوان (شعر الحسين بن مُطير الأسدي)، كما أنّ الشاعر لم يأخذ حظه من الشهرة والذيوع والانتشار أُسوَةً بشعراء عصره الأعلام, ولو تساءلنا ما السبب وراء ضياع شعر الحسين بن مُطير وخمول ذكره على الرَّغم من ثناء العلماء والأدباء عليه وعلى شعره؟ فالحقيقة أنَّ البداوة وانعكاساتها على الشاعر وشعره هي أحد أهم أسباب هذه الظاهرة.

ولذلك يرى الدكتور محسن غياض أنَّ الأسباب التي أخملت ذكر الحسين بن مُطير الأسدي هي نفسها التي ساعدت في ضياع شعره، وقد ردَّ ذلك إلى أنَّ الشاعر "كان مُقِيماً في البادية بعيداً عن حياة العاصمة وأضوائها، وصراع الشعراء فيها طلباً للتفوّق والشهرة والمجد, وكان لأهل بغداد من كثرة الشعراء النابهينَ ما يُشغِلُهم عن الاهتمام بشعراء البادية، وتَتبُّع أخبارهم, وتدوين شعرهم"[23].

وأمّا مظاهر البداوة وتجلّياتها في شعره، فعلى الرَّغم من أنَّ الحسين بن مُطير قد نَظمَ في الأغراض الشعرية ذاتها التي نَظمَ فيها شعراء عصره, إلّا أنَّ طابع البداوة كان له حضورهُ اللافت في أغراضه وموضوعاته الشعرية، وهذا ما يُميّزه عن غيره من شعراء عصره الذين فتنوا بالحضارة فتركت بصماتها على شعرهم.

أمّا دوافع اختيار شعر (الحسين بن مُطير الأسدي) موضوعاً للدراسةِ بصفةٍ عامّة، ودراسة موضوع البداوة فيه بصفةٍ خاصة، فيمكن إجمالها فيما يأتي:

1- عدم وجود أيَّةِ دراسةٍ مُتخصِّصةٍ تناولت قضية (البداوة) في شعر (الحسين بن مُطير الأسدي).
2- غزارة المادة الشعرية ذات الطابع البدوي في شعر (الحسين بن مُطير الأسدي) والتي كان لها أثرٌ مُلهِمٌ في توجيه الباحث نحو رصد مظاهر البداوة وتجلياتها في شعره.

ومِمّا سبق، فلسنا نجانب الصواب إذا ما قلنا: بأنَّ البداوة هي من أبرز سمات شعر الحسين بن مُطير الأسدي وخصائصه، ويمكن أن نرى ذلك فيما يأتي من الأغراض والموضوعات الشعرية.

المحور الأول: مظاهر البداوة وتجلّياتها في الوصف الشعري عند الحسين بن مُطير الأسدي

أفرَدَ الباحث هذا المحور لدراسة مظاهر البداوة وتجلّياتها في باب الوصف، لكونه أكبر الأبواب الشعرية وأكثرها اتساعاً، إذ إنّ معظم الأغراض الشعرية (مدح – هجاء – فخر – رثاء – غزل ....) عائدٌ إلى باب الوصف, يقول ابن رشيق القيرواني: "والشعر إلّا أقلُّهُ راجعٌ إلى باب الوصف, ولا سبيل إلى حصره واستقصائه"[24].

ذلك أنّ (الوصف) في الشعر العربي, يطغى حتى يكاد يبتلع سائر الأغراض, وأنت ترى بسهولة أنّ الوصف يغلب على هذه الأغراض جميعاً, حتى كأنّها "ليست إلاّ مداخل في فِناءِ الوصف الكبير, فما المدحُ ولا الفخرُ ولا الهجاءُ ولا الرثاءُ ولا النسيبُ إلّا وصفٌ للإنسان في حالاتٍ مُعيّنة, وفي مواقف موقوتة"[25].

ومن هنا، تتجلّى البداوة في الوصف الشعري عند الحسين بن مُطير الأسدي، لكثرة ما يتضمّنه هذا الغرض من وصفٍ لمشاهدِ الرحيلِ والعِيسِ والحُداةِ والهوادج، ووصفِ الرحلة, ووصفِ الأطلالِ الباليةِ والوقوف عليها، ووصفِ الإبل، ووصفِ وحشِ الصحراء، ووصفِ نباتها, ووصفِ المطر والسَّحاب, وهي كُلُّها من صور البيئة البدوية ولوازمها، وفيما يأتي نماذج من وصفه البدوي:

أولاً: وصف مشاهد الرحيل والأظعان: تُعَدُّ مشاهد الرحيل من أبرز معالم الحياة البدوية التي حرص الشعراء القدماء على وصفها وتصويرها، لما تنطوي عليه من معانٍ إنسانيةٍ تفيض بالعواطف والمشاعر، وقد برع الحسين بن مُطير في وصف هذه المشاهد، ومن ذلك قوله:

كـأنّـنـا يا سُـلَيـمى لَـم نَلُـمَّ بِكُـم ... وتَحـتَـنـا عَـلَـسِـيّاتٌ مَلاجِـيـجُ
ولَم نَقُـل يومَ سارَت عِيسُكُم عَنَقاً ... والدَّوسَـرِيُّ بِجَذبِ السّاجِ مَجرُوجُ
سَـقَى اللهُ جِيـرَاناً لَنَـا ظَعَـنـوا ... لَمّا دَنا مِن رِياضِ الحُزنِ تَهييجُ
لَمّا أخشَ بَينهم حَتّى غَدوا مِزَقاً ... واستَوسَقَت بِهِمُ البُزَّلُ العَناجِيجُ
فاحتَثّ من خَلفِهم حَادِيهم غَرِداً ... وجُدِّدَت دُونَ مَن تَهوى(*) الهَوادِيجُ[26]

تفيض الأبيات بروح البداوة ومعانيها، ويمكن للقارئ أن يجد ذلك من خلال لغة القصيدة وأسلوبها، نحو قوله: (عليسات، ملاجيج، عيسكم، الدوسري، ظعنوا، مزقاً، استوسقت، البزل، العناجيج، حاديهم، الهواديج)، وهي مفردات توحي بالبداوة، فضلاً عن الموضوع الذي عالجته، وهو الآخر أحد أهم مظاهر الطابع البدوي في شعر الحسين بن مُطير الأسدي، ولعلَّ ذلك هو الذي دفع ابن المعتز إلى إظهار إعجابه بهذه القصيدة والثناء عليها، بقوله: "فهذا كما ترى شعرٌ كأنَّه الديباج، بل نظم الدُّرِّ في حُسنِ وَصفٍ وإحكامِ رصف"[27].

ثانياً: وصف الرحلة: وهي من أبرز أجزاء بنية القصيدة الجاهلية, وفيها يصف الشاعر رحلته إلى الممدوح, وما يلاقيه من الأهوال والمتاعب في قطع الصحراء والفيافي على ناقته, وبذلك يُمثِّل هذا الموضوع صورة شعرية صادقة لتفاصيل البيئة البدوية في شعر الشاعر, ومن ذلك قول الحسين بن مُطير يصف رحلته إلى (ممدوحه) الخليفة المهدي:

إليكَ أَميرَ المُؤمنينَ تَعَسَّفَت ... بِنَـا البِيدَ هَوجَاءُ النَّجاءِ خَبوبُ
ولَو لَمْ يكُن قُدّامُها ما تقاذَفَتْ ... جبـالٌ بـهـا مَـغـبَـرّةٌ وسُـهـوبُ[28]

إنَّ أول ما يلفت الانتباه في وصف الرحلة عند الشاعر هو اختيار الناقة, إذ يصف الشاعر رحلته باستقصاء صفات الناقة, ويكون التركيز عليها بالذات[29], وتأتي غالباً بصفات القوة والسرعة[30], فهي ناقة (هوجاء النجاء, خبوب) تقطع الصحراء وما

يعترض طريقها من الجبال والسهول والهضاب, مُخَلِّفةً خلفها الغبار, فالشاعر "يقضي مآربه على ناقة سريعة, ومن هنا هي في صراعٍ مع الزمن وفي مهمةِ التحدّي للوصول إلى الممدوح"[31], الذي هو غاية الرحلة والمدح عند الشاعر.

إن وصف الشاعر للناقة بالقوة والسرعة هي من متطلبات نجاح الرحلة, فالارتحال ومشاق الصحراء لا تتحمّلها إلّا ناقةٌ قوية, والخروج من الصحراء ليس بالأمر اليسير, ولذا "لا بُدّ من صراعٍ ما يرمز إلى الصعوبات التي يواجهها الشاعر في أثناء رحلته"[32], وفي الحقيقة إنَّ الشاعر لا يريد وصف معاناة الناقة في الاهتداء وقطع مفاوز الصحراء, بل وصف معاناته هو في الوصول إلى الممدوح, فتصبح الناقة مُجرَّد قناعٍ لمعاناة الشاعر, وما انتصار الناقة في الرحلة إلّا انتصار للشاعر للوصول إلى هدفه[33].

وهكذا نجد أنَّ الرحلة حاضرةٌ في جزأينِ من بنية القصيدة الجاهلية, فهي حاضرة في مقطع (النسيب) الذي يفتتح به الشاعر قصيدته, وذلك عِبرَ رحلة الظعائن التي تُمثِّل الهجرة الموسمية للقبائل البدوية, وهي حاضرة في الرحلة التي يركب فيها الشاعر ناقته بعد أن يغادر الأطلال متوجهاً إلى ممدوحه[34], وكلتا الرحلتينِ تُعَدُّ من أبرز مظاهر البداوة في شعر الحسين بن مُطير.

ثالثاً: وصف الأطلال البالية والوقوف عليها: ومن مظاهر البداوة في شعر الحسين بن مُطير الأسدي وصفه للأطلال البالية والوقوف عليها، نحو قوله:

وبالبَرقِ أَطلالٌ كأنَّ رُسُومَها قَراطِيسُ رُهبانٍ تَلوحُ سطورها[35]

وقوله:

وبالبَرقِ أَطلالٌ كأنَّ رُسُومَها قَراطِيسُ خَطَّ الحِبرَ فِيهنَّ سَاطِرُه [36]

إنَّ تشبيه الأطلال وآثار الديار البالية برسوم القراطيس القديمة وما بقي من آثار الكتابة على الورق، هو تشبيه بدوي، وصورة قديمة تعاقب عليها كثير من شعراء العصر الجاهلي[37]، ونلاحظ أنَّ الشاعر قد كرّر الشطر الأول والصورة ذاتها في قصيدتينِ مختلفتينِ، وهذا يَدُلُّ على مدى تأثره بطابع البداوة وروحها, فللتكرار غرض فني في الشعر، فهو "يضفي وحدة فكرية أو عاطفية على الأبيات، وهو يضع بأيدينا مفتاحاً للفكرة المتسلطة على الشاعر، وبه يؤكِّد الشاعر غرضه ويبالغ فيه"[38].

وقوله في الوقوف على الأطلال :

خَليلَيَّ مِن عَمرو قِفَا فَتَعرَّفا لِسَهمةَ داراً بَينَ لِينةَ والحَبلِ
تَحمَّلَ مِنها أَهلُها حِينَ أَجدَبت وكَانوا بِها في غَيرِ جَدبٍ ولا مَحلِ[39]

ومَن يُنعم النظر في هذينِ البيتينِ لا يجد كبير اختلاف بين هذا الشعر وبين مطالع الجاهليينَ في الوقوف على الاطلال والبكاء عليها, مثل: استيقاف الصحب (خليليَّ من عمرو قفا فتعرفا)، وذكر اسم المحبوبة (سهمة)، وذكر أسماء المَحَالّ (داراً بين لينة والحبلِ)، ورحيل أهلها عنها (تحملَ منها أهلها)، وسبب رحيلهم عنها (حين أجدبت)، وكيف كانت (الديار) يوم كان (الأحبة) هم سكانها (وكانوا بها في غير جدبٍ ولا محلِ).

ومعنى ذلك أن الشاعر "كان يُقِيمُ طقوساً للبكاء الجماعي, فهو حين يقف ويستوقف إنّما كان يعالج الشعور بفكرة الحياة الذاهبة"[40], وهكذا ذهب كثيرٌ من النقاد المحدثينَ يُقرّرون "أنَّ الأطلال في القصيدة القديمة إنّما هي رمزٌ على الموت والفناء, وأنَّ بقايا تلك الأطلال من نؤى وأثافي ما هي إلّا بقايا الحياة وجدها الشاعر"[41].

ومن هنا فإن الأطلال في القصيدة لم تكن مجرد تقليدٍ فنيّ وحسب, بل هي غالباً ما تكون محمّلة بإثارة نفسية, وهكذا تحوّلت - الأطلال – من "شيءٍ جامدٍ إلى دلالةٍ نفسيةٍ تَدُلُّ على الماضي السعيد الزاهر بالحياة, وإلى الحاضر الذي يَدُلُّ على فناء الحيلة بتلك الأماكن وتحولها لمجرد ذكريات"[42].

وقوله أيضاً في وصف الديار البالية التي أقفرت من أهلها وغيرّتها الأنواء وتقادم الزمن، حتى صارت مرتعاً للظباء والغربان:

تِلكُم دِيارُهم بالقُفِّ دارسةٌ يَستَنُّ فِيها عَجاجُ الصَّيفِ والهُوجُ
قَفراً خَلاءَ المَغانِي ما يَظلُّ بِها إلّا الظِّباءُ وغِربَانٌ مَشَاحِيجُ
فِيهَا أَوَارٍ وآثَارٍ بِعَرصَتِها ومَاثِلٍ نَاحِلٍ فِي الدَّارِ مَشجُوجُ[43]

إنّ موضوع القصيدة/ الأبيات (وصف الأطلال والوقوف عليها), ولغتها وأسلوبها ومفرداتها, من مثل: (الديار, دارسة, قفراً, المغاني, الظباء, الغربان, عجاج, الهوج, مشاحيج, أوار, آثار, عرصة) والتي "تُشكِّلُ معجماً بدوياً"[44], وصورها, لتوحي كُلُّها بحياة البداوة وطابعها، ومدى تأثّر الشاعر بها، وقد صدق الدكتور محسن غياض حين عدَّ هذه القصيدة "من أكثر الشعر بداوةً وأكثره غريباً"[45].

رابعاً: وصف وحش الصحراء: ومن مظاهر البداوة في شعر الحسين بن مُطير الأسدي صوره البدوية المستوحاة من بيئة الصحراء ومشاهدها، ومن ذلك وصفه لوحش الصحراء إذا هطل المطر، واشتدَّ صوت الرعد فوقفت واجمةً فَزِعةً لا تجد لها مأوى تلوذ به:

يَغشَى الوحُوشَ بِمُرسَلٍ مِن مَائِهِ مِثلَ الزُّقَاقِ مَلأتهُنَّ رِيَاحا
وتَرى صُفُوفَ الوَحشِ فِي حَافَاتِها كَثَمودَ يَومَ رَغَا الفَصِيلُ فَصَاحا
وكأنَّ أَصوَاتَ الحَجِيجِ عَشِيَّةً يَبغُونَ بِالصوتِ الرَّفِيعِ فَلاحا

فِيـهِ وأَصـوَاتُ الـرَّوائِـمِ فَـارَقَـــت أَولادَهـــا فَـلَـجَـجنَ بَـعـــدُ رَوَاحـــا[46]

إنَّ دِقّة وصف الشاعر لوحش الصحراء، واضطرابها من غزارة الأمطار, وشدة قصف الرعود، وارتفاع أصواتها من شدة فزعها وهلعها، وتشبيه هذه الأصوات المرتفعة والمتداخلة بأصوات الحجيج في ضجيجها وقوتها، أو أصوات الحيوان المفارق لولده من الظباء وغيرها، هي كُلُّها عناصر بدوية محضة، استمدها الشاعر واستوحاها من بيئة الصحراء؛ ليرسم صورة فنية لوحشها وحيوانها.

خامساً: وصف الإبل: تُمثِّلُ الإبل أهم عناصر البيئة البدوية, نظراً لكثافة حضورها فيها, فهي "أبرز حيوان يظهر في عرض الفلاة ألِفه الإنسان القديم, ويتوحَّدُ معه"[47], وإذا كان شعراء البادية قد برعوا في وصف حيوان الصحراء الوحشي, وتصوير حركاته وأعضائه, كالظباء, والآرام, والنعام, والغربان وغيرها, فإنَّ وصفهم للحيوان الأليف ولا سِيَّما الإبل, كان "أدق, وقصيدهم فيه أطول, لأنَّهم آنسوا معاشرته, ودقَّقوا في أعضائه"[48], ومن هنا كان هذا الموضوع من أهم مظاهر البداوة وأبرزها في شعر الحسين بن مُطير الأسدي, ومن ذلك, وصفه الدقيق للإبل، التي تلقي بصغيرها قبل أوانه، فتمزق السباع ذلك الجلد الرقيق الذي يخرج الصغير ملفوفاً به من بطن أمه، حتى إنّه ليشبه ثوباً يمانياً مضرّجاً، وفي هذا يقول:

هُـدلُ المَشافِـرِ أَيـدِيهـا مُوثَّـقـةٌ زُجٌّ، وأَرجُـلهـا زُلٌّ هَـــزالـيـجُ[*]

لَمّا لَقِحنَ لِمَاءِ الفَحلِ أَعلَجَهـا وَقتُ النِّكاحِ فَلَم يُتمِمنَ تَخدِيجُ

تُفرِي السِّباعُ سَلَىَ عَنهُ تُماشِقُه كَأَنَّهُ بُـردُ عَـصبٍ فِـيهِ تَضرِيجُ[49]

إنَّ المعجم اللغوي للشاعر تُهَيمِنُ عليه ألفاظ البداوة ومفرداتها، نحو قوله: (المشافر، زجٌّ، زُلٌّ، هزاليج، الفحل، تخديج، السباع، تفري، سلى، بردُ عصبٍ، تضريج)، وقديماً لاحظ الحصري القيرواني بداوة شعر الحسين ابن مُطير السدي، وكثرة غريبه فقال يصفه: "الحسين قويُ أسرِ الكلام، جزل الألفاظ، شديد العارضة"[50].

وكان لهذا المعجم اللغوي أثره البالغ في تشكيل صور الشاعر وإضفاء روح البداوة وطابعها وتجلّياتها فيها، على نحو ما رأينا في الأبيات السابقة في وصفه للإبل، وهي صورة كما يرى أحد الباحثين "مسرفة في البداوة، ولا يمكن أن تتاح لشاعر لم يعرف البادية ولم يُقِم بها، وهي تدل على صحبةٍ طويلة لحيوان البادية وملاحظة ذكية لحياته وصفاته وأطواره"[51].

سادساً: وصف نبات الصحراء: ومن مظاهر البداوة - أيضاً - وصف النباتات الصحراوية, بوصفها عنصراً مهماً في البيئة والحياة البدوية, ومنها (الأقحوان) وهو من أكثر نبات البادية ذكراً وورود في الشعر العربي القديم, وبه تشبه الثغور لبياضه[52], وقد وَرَدَ الأقحوان في شعر الحسين بن مُطير كجزءٍ من لوحة شعرية صوّر فيها الشاعر جمال الطبيعة في البادية, حين تبتسم الأرض لتبدي جمالها وسحرها بعدما جادت عليها السماء بالغيث والأنواء:

أَينَ أَهلُ القِبابِ بالدَّهنـاءِ أَيـنَ جِيرانُـنـا على الأَحسَـــاءِ

فَارَقونا والأرضُ مُلبِسةٌ نَو رَ الأَقَـاحـي تُـجـــادُ بـالأَنـــوَاءِ

كُـلُّ يـومٍ بِـأُقـحُـوانٍ جَـــديـــدٍ تَضحَكُ الأَرضُ مِن بُكاءِ السَّماءِ[53]

توحي الأبيات بشغف الشاعر بفنون الصياغة البلاغية, ففي الشطر الثاني من البيت الأخير (استعارتانِ) و(طباقانِ) بين الأرض والسماء والضحك والبكاء[54], وقد استطاع الشاعر أن يرسم لنا صورة شعرية غاية في الجمال حين استعار البكاء للمطر, والضحك للأرض التي تفتَّحت عن الأقحوان الأبيض, فكأنّها ثغرٌ جميلٌ قد ابتسم وبان عن أسنانٍ بيضاء كالبَرَد, وهي صورة رائعة لما فيها من "حِسٍ دقيق, وتفكيرٍ يحمل نضجاً عقلياً"[55].

كما وردت أسماء نباتات أخرى في شعره, من مثل: (العرفج) و(الألاء) و(الخزامى) في قوله:

وكَـأنَّ بَارِقَـهُ حَريـقٌ تَلتَـقي رِيـحٌ عَلِيـهِ وعَرفَـجٌ وأَلاءُ[56]

وقوله:

يَمَـنِـيـنَـا حتّى تَـرِفَّ قُـلـوبُـنـا رَفِيفَ الخُزامى بَاتَ طَلٌّ يَجُودُها[57]

وهي كُلُّها نباتات صحراوية استمدها الشاعر من بيئته البدوية, وهي بذلك تُشَكِّلُ أحدى أهم صور البداوة وتجلّياتها في شعره.

سابعاً: وصف السحاب والمطر: يُمثِّلُ المطر/ الماء سِرَّ وجود الحياة البدوية وسبب ديمومتها في هذا المكان أو ذاك, فقد كان أهل البادية يعيشون في مساحات شاسعة من الصحراء, وكانت المياهُ نادرةً, وإن توافرت بعض الآبار في أجزاءٍ متباعدةٍ منها, ولذلك وجدنا التحوّل الاجتماعي الشامل في حياة سُكّانها, فغلب عليهم طابع البداوة , فكانوا قبائل رحّلاً, يسعون وراء الماء والكلأ, الذي يُعَدُّ عماد حياتهم[58].

ولعلَّ الحرمان, وندرة المياه , وجدب الأرض, هو الذي جعلهم يبالغون في تقدير الخِصب, فالماء يوفر الكلأ الذي يَدُلُّ على النَّماء وهذا يعني الحياة, ومن هنا صار الماء - بجميع أشكاله - يمثل رمزاً وجودياً في حياتهم، ومِن ثَمَّ في شعرهم, ولذلك "كانت الأرض المعطاء حُلُم الشعراء, وقد ركزت طقوسهم الوجدانية باستمرار على إطالة النماء الذي يصيب جانب البقاء على الوطن بفعل الغيث, وكان تعبيرهم ينم عن طموح بالثبات والكف عن الرحيل, إلّا أن قسوة الطبيعة غالباً ما كانت تسلب من وعيهم ذلك الحُلُم, وتَحوّل أرضهم إلى فردوس مفقود"[59].

إنَّ عناية العرب بالمياه, وشدة حاجتهم إليها دفعهم إلى العناية بالمطر والسحاب وما يتعلّق بهما من برق ورعد, ولذلك كان البدوي يحل ويرتحل شرقاً وغرباً تبعاً لسقوط المطر, وما من شَكٍّ أنّ لهطول المطر في البادية فرحة عظيمة, وقد تمثلت في "وقفات الشعراء الطويلة, وهم ينظرون إلى السحاب والمطر والبرق والرعد, فينتابهم الشعور بالنشوة, وتعلوهم الغبطة بالمنظر الرائع"[60].

وللحسين بن مُطير الأسدي قصيدةٌ في وصف السحاب والمطر, نالت استحسان الأدباء القدماء وأثنى عليها النقاد والعلماء, وبلغ من إعجاب النقاد بها أن قال عنها أبو هلال العسكري: "إنّها أجود ما قيل في سحاب"[61], وقال ابن المعتز: "ومن سائر المجاز لابن مُطير كلمته في وصف السحاب والمطر, وكان من أحذق الشعراء بذلك"[62], كما ذكرها ابن قتيبة في مقدمة كتابه (الشعر والشعراء) كمثال للشعر الوصفي الجيد[63], وممّا جاء فيها قوله:

كَـــثُرَت لِكَـثرةِ قَطـــرِهِ أَطبـــاؤهُ فـإذا تـحـلَبُ فـاضَـت الأَطبَاءُ
وضُروعُهُ عَدَدَ النُّجُومِ وطَـــلّـهُ أَخـلافُـــهُ عَـــددَ النُّجـــومِ رَواءُ
وكَجَوفِ ضَرّتِهِ التي في جَوفِهِ جَوفُ السَّماءِ سَبحَلةٌ جَوفَاءُ
ولَـــهُ رَبـــابٌ هَـيدَبٌ لِـــرَفـــيفِـــهِ قَـبـلَ التَّـبَعُـقِ دِيـمَـةٌ وطِفَـاءُ[64]

يُصوّر الشاعر في هذه الأبيات غزارة المطر ووفرة هطوله, والسَّحاب الذي يحمله ويتألّفه, ويلجأ في رسم هذه الصورة الشعرية إلى فنون البلاغة, وبيئته البدوية ليستعير منهما عناصر صورته, فيُشبّه الغيوم والسحب التي تحمل المطر الغزير بضرع الناقة العظيمة, وهي صورة بدوية صرفة, فالمُشبَّه (السحاب/ المطر) والمُشبَّه به (ضرع الناقة) كلاهما من عناصر البيئة البدوية.

ويستمر الشاعر في رسم لوحة المطر, لينتقل إلى وصف البرق والرعد, وهما من أهم عناصر هذه اللوحة الشعرية الرائعة, إذ إنّهما يمثلان "مقدمة الغيث, وعلامة من علاماته, ودليلاً من أقوى دلائله"[65], وفي هذا يقول:

وكَـأنَّ بَارِقَـهُ حَريـقٌ تَلتَـقي رِيـحٌ عَـليـهِ وعَـرفَـــجٌ وأَلاءُ
وكَـأنَّ رِيـقَـهُ ولَمّـا يَحـتَـفِـل وَدقُ السَّماءِ عَجَاجَةٌ كَدرَاءُ
مُستَضحِكٌ بِلَوامِعٍ مُستَعبِرٌ بِمَـدامِـعٍ لَـم تَـمُـرُّهـا الأَقـذَاءُ
فَـلَهُ بِلا حُـزنٍ ولاً بِمَسَـرَّةٍ ضَـحِـكٌ يُـؤَلِّـفُ بَيْنَـهُ وبُـكَـاءُ[66]

يرسم الشاعر مجموعة من الصور الشعرية, مثل: صورة البرق الذي شبّه وميضه بضوء الحريق الذي ينشب في نبات الصحراء (عرفج و ألاء), وهي نارٌ دائمة الاشتعال بفعل الريح التي تُأجّجها, وصورة السحاب الداكن, الذي يميل إلى السواد لأنّه مُثقلٌ بالمطر قبل نزوله, وقد شبّهه بالعجاجة المظلمة الكدراء, وصورة البرق التي استعار للمعانها التَبسُّم الذي يُسفِرُ عن بياض الأسنان الناصعة, وصورة المطر في أول نزوله والتي استعار لها صورة الدمع, وأخيراً صورة الرعد الذي استعار لصوته صوت الضحك والبكاء, وقد مثّلت هذه التشبيهات والاستعارات صوراً جزئية مستقلة, ولكنّها وإن تَعدَّدت وتنوعت فإنّها تمتاز بوحدة موضوعية, وقد أخذ بعضها برقاب بعض لتُشكِّل لنا صورةً كُليةً للوحة المطر.

ويختتم الشاعر لوحة المطر بتشبيهه بالبحور لغزارته ووفرته, بل هو أكثر منها ماءً وأغزر, فيقول:

ذَابَ السَّحابُ فَصـــارَ بَحراً كُـلُّـهُ وعَـلى البُحورِ مِن السَّحابِ سَمَـاءُ
لَو كَانَ مِن لُجَجِ السَّواحِلِ مَاؤُهُ لَـم يَـبـقَ في لُجَـجِ السَّـــواحِـلِ مَـــاءُ[67]

مَثّل وصف المطر مصدراً آخر من مصادر تجلّيات البداوة عند الحسين بن مُطير, بما تضمنه هذا الموضوع من لغةٍ وأسلوبٍ, وصورٍ ومعانٍ, استعار الشاعر مفرداتها وعناصرها من بيئته البدوية, ولعلَّ استرسال الشاعر في قصيدته التي وصف فيها المطر والسحاب, وهي من قصائده الطويلة في الديوان, وقد قصرها على هذا الموضوع وحده, لعلَّ هذا الأمر هو الآخر يوحي ببداوة الشاعر, لأنَّ وصف المطر "في عَالَم البادية يبدو نغمةً شعوريةً مُكرَّرة, يستجيب لها الشعراء على الدوام, في إطار المعاناة الجماعية على أرض الجزيرة"[68].

المحور الثاني: مظاهر البداوة وتجلّياتها في الأغراض والموضوعات الشعرية الأخرى عند الحسين بن مُطير الأسدي

هَيمنَت البداوة بصورها ولغتها وطابعها على الكثير من الأغراض والموضوعات الشعرية في ديوان الشاعر؛ كالغزل، والحنين، والرثاء، والهجاء، لِتُشكِّلَ بذلك سِمةً فنيةً وموضوعيةً بارزةً في شعر الحسين بن مُطير الأسدي، وفيما يأتي بيانُ ذلك وتفصيله.

أولاً: مظاهر البداوة وتجلّياتها في غرض الغزل

هو من أكثر الأغراض التي تتجسَّدُ فيها مظاهر البداوة في شعر الحسين بن مُطير الأسدي, ولَعلَّ أبرز مظاهر البداوة في هذا الغزل هي (العِفَّة/ العذرية)، فكُلُّ غزل الحسين بن مُطير بدويٌ عفيف، كان يسلك فيه مَسلَكَ العُذريينَ من الشعراء، وقد عَدَّهُ الوَشَّاء منهم، وقال عنه إنّه مِمَّن اشتهر بالغزل والصَّبابة، كابن الطثرية، وابن الدُّمينة، وجميل، وكُثَيِّر وغيرهم[69].

ولا عجب أن نَعُدَّ عِفّة الغزل وعذريته من مظاهر البداوة عند الشاعر, فلهذا النوع من الغزل (العذري) علاقةٌ وثيقةٌ بالبداوة, نشأةً وتطوراً, ولغةً وأسلوباً, ومعاني وصوراً, وأعلاماً ورموزاً.

فأمّا نشأة الغزل العذري فهي بدوية صِرفة, يقول الدكتور أحمد عبد الستار الجواري: "نشأ هذا الحب (العذري) في البادية, وما كان خليقاً به أن ينشأ في المدن والحواضر"[70], وأمّا التسمية فهي أيضاً بدوية, إذ إنَّ مصطلح (العذري) هو نسبة إلى قبيلة

(عذرة) العربية المشهورة بالعشق العفيف, وإليهم ينسب الهوى العذري لأنَّهم أَشَدُّ خلق الله عشقاً[71], وكانت هذه القبيلة تسكن بادية الحجاز, وقد تنقَّلت منازلهم في رِحابها فسكنوا وادي القرى, وتبوك, وتيماء, والحِجر, والجُناب, وهي بين الشام والمدينة[72]، ومن هنا فقد كان "العُذريونَ جماعة من البدو, ينتجعونَ الكلأ, ويتربَّصونَ مساقط الغيث, فيرحلونَ من بُقعةٍ إلى أخرى طلباً للرعي وسعياً وراء السقاية"[73], إذن فالغزل العذري نشأ في البادية, وفيها ترعرع, وعُرِفَتْ به وعُرِفَ بها[74].

وأمّا اللغة والأسلوب, والمعاني والصور, فهي الأخرى مُستَمَدَّةٌ ومستوحاةٌ من بيئة البادية وطابعها البدوي, وفي هذا يقول الدكتور إحسان النَّص, واصفاً غزل العذريين: "ونلاحظ على غزلهم بروز الطابع البدوي, سواءً في سذاجة المعاني وعفويتها, أم في طريقة التصوير وأسلوب التعبير"[75].

ومن هنا كان الغزل العفيف/ العذري يُمثِّلُ طابع البداوة وأحد أبرز مظاهرها في شعر الحسين بن مُطير, لا سِيّما أنَّ الشاعر كان يعيش في عصر هَيمَنَت عليه مَعالِم الحضارة والمدنية وفي جميع مجالات الحياة[76], ولذلك كان هذا النوع من الغزل "يبدو غريباً في البيئة العباسية، التي بدت تتخلّى عنه جانباً لتتَّخِذ غزلاً حضرياً مادياً، لا يخلو من فُحشٍ ومُجونٍ وتَهتُّك، يُصوّر جانباً من جوانب الحياة العباسية ويُمثّلها"[77].

فعلى الرَّغم من أنّ الغزل - في العصر العباسي - كان يسير في التيارينِ ذاتهما اللذينِ سار فيهما في العصر الأموي, ونقصد بهما تياري الغزل الحسي (الصريح)، والغزل العذري (العفيف), إلّا أنّ التيار الأول (الصريح) كان "أكثرَ حِدّةً وعنفاً"[78], وكان "شعراؤه أكثرَ عدداً"[79], لذلك كان هذا الاتجاه (الحسي) كما يقول الدكتور شوقي ضيف: "هو الغالب على الشعراء"[80], الذين خرجوا عن كُلِّ عُرفٍ وخُلقٍ وذَوقٍ سليم, وانهمكوا في تصيُّد الجواري والقِيان والإماء, وانغمسوا بالملذّات, وجاهروا بالفسق والآثام[81].

بل إنّ شعراء هذا العصر قد فاقوا ما كان يفعله عمر بن أبي ربيعة ورفاقه من شعراء اللهو والغزل الصريح في العصر الأموي, من مغازلة النساء ومراودتهن في المواسم والأعياد, بل "شَتّانَ بين الغزل الصريح في هذا العصر عند مُطيع ابن إياس وأبي نواس وأضرابهما وبينه في العصر الأموي عند عمر بن أبي ربيعة والأحوص وأمثالهما, إذ كانوا يحتفظون بِغيرِ قَليلٍ من الوَقار والحشمة, أمّا مُطيع وأبو نواس وبشار ونظراؤهم العباسيون فقد خرجوا عن كُلِّ حشمةٍ ووَقارٍ خروجاً يشبه أن يكون ثورةً, بل هو ثورةٌ حقيقية, فهم يتحدثونَ في غزلهم عن غرائزهم النوعية في غير تَعَفُّفٍ ولا حياءٍ ولا كرامة"[82].

وهذا ما يجعلنا نقرّرُ بأنَّ الحسين بن مُطير بغزله العفيف "لم يكن مُمثِّلاً للجانب الحضري في عصره، بقدر ما كان مُقلِّداً لشعراء بني أمية من العذريينَ ومُمثِّلاً للجانب البدوي من عصره"[83].

ولذا فإنَّ مَن يقرأ هذا الغزل يجد فيه كثيراً من صور وموضوعات شعر العذريينَ، مثل: الشكوى من تمنُّع المحبوب، الذي صار كالطيف لا يزوره إلّا بعد أن ينام الناس وتهجع العيون, والقَسَمِ على وفائه للمحبوب والإخلاص في الحب له, ومن ذلك قوله:

زَارَتـكَ سَـلـمـةُ والظَّلـمـاءُ دَاجِيـــــةٌ والـعَـيـنُ هَـاجِـعـــةٌ والـرُّوحُ مَـعـرُوجُ
فـمَـرحَـبـــاً بِكَ مِـن طَـيـفٍ ألـمَّ بِـنَّـــا ولَيسَ يا سَلمُ بِي في السِّلمِ تَحريجُ
قَـالَت: تَغيَّرتَ عَن وِدّي، فقُلتُ لها: لَا وَالـذي بَـيـتـُهُ يَـا سَـلـمُ مَـحـجُـوجُ
مَا أنسَ لا أنسَ مِنكُم نَظرةً سَلَفت فِي يَومِ عِيدٍ ويَـومُ العِـيـدِ مَخـرُوجُ[84]

ويُمثِّل وصف محاسن المرأة أحد أهم موضوعات الغزل العذري, لكنّه وصفٌ عفيفٌ يخلو من أَيِّ فُحشٍ أو ابتذال, وهو كثيرٌ في شعر الحسين بن مُطير, ومنه قوله:

وقَد كَانَ فِي الدَّارِ التي هَاجَت الهَوى شِفاءَ الجَوى لَو كَانَ مُجتمِعُ الشَّمَلِ
وفِـيـهِـنَّ مِـقـلاقُ الـوِشَـــاحَـيـنِ طِـفـلـــةٌ مُـبـتَـلّـــةُ الأَطـــرافِ ذَاتُ شَـــوىً خُـــدلِ
حَـصَـــانٌ لَـهـا لَـونـــانِ جَـــونٌ ووَاضِـحٌ وخُـلـقَـانِ شَـيءٌ مِن لَطِيفٍ ومِن عَسَلِ
وسُـنَّـتـُهـا بَـيـضـــاءُ وَاضِـحـــةُ السَّـنـا وذِروَتُـهـــا مُســـوَدَّةُ الفَـرعِ والأَصـــلِ[85]

وقريب من هذه الصورة, قوله :

مِن كُلِّ بَيضاءَ مِخمَاصٍ لَها بِشرٌ كَـأنَّـهُ بِـذَكِيِّ المِـسـكِ مَعـسُـولُ
فالخَدُّ مِن ذَهَبٍ والثَّغـرُ مِن بَـرَدٍ مُفلَّجٌ واضِحُ الأَنيابِ مَصقُولُ
ونَـشـرُهـا مِـثـلَ رِيَّـا رَوضـةٍ أَنِـفٍ لَـهـا بِـفَـيـحَـانَ أنـــوارٌ أَكَـالِـيـلُ[86]

رسم الشاعر في المقطوعتينِ السابقتينِ صورةً شعريةً واضحة المعالم لجمال حبيبته, التي صارت شفاءَه من كُلِّ ألم, ومُنية النفس التي فارقت حبيبها, فهي امرأةٌ بيضاء, تَشِعُّ جَبهتُها نوراً وسناءً, ويعلو قامتها شعرٌ فاحِمٌ شَديدُ السَّواد, وهي رشيقة القوام, مُخصَّرة البطن, لا يكاد وشاحها يَستَقِرُّ على عوارضها, وهي لطيفةُ الأحشاء, ناعمةُ الأعضاء, طريةُ الأطراف كالأطفال, جميلةُ المبسم, كأنّ أسنانها رتل في انتظامها وتناسقها, وكالبَرَد بياضاً ونصوعاً, تضوع منه رائحة المسك لطيبه, حتى كأنَّها عبق الرياض يملأ الأرجاء طيباً وشذى, وهي مع ذلك امرأةٌ عفيفةٌ تُحصّنها أخلاقها الرفيعة وطبعها الأصيل.

وكثيراً ما يلجأ الشاعر الحسين بن مُطير الأسدي إلى طبيعة البادية العذراء من حوله, ليستعير منها أوصافاً وصوراً ويضفيها على حبيبته, ومن ذلك مثلاً تشبيه المحبوبة بالغزالة أو الظبية، نحو قوله:

كَـأنَّ سُـلـيمَـى حِـينَ قَـامَـت فَـأشـرَفَـت بِـوَجـهٍ أَسـيـلٍ زيّـنَـتـهُ غَـدائِـرُهْ

غَزالٌ سِوى الأردَافِ والفَرعِ والشَّوى ولَكِنَّ لِسَلمى طَرفُهُ ومَحاجِرُهْ[87]

لقد استحسن شعراء البادية جمال الظباء, ووجدوا فيها نموذجاً محبوباً لتشبيه المرأة به, فقد راقهم منها طول العنق, وصفاء اللون ونصاعته وبياضه, وتناسق الأعضاء ورشاقتها, فأضفوه على المرأة المحبوبة[88], وعلى الرَّغم من أنَّ محبوبة الشاعر تشبه الغزال, شكلاً (كأن سليمى... غزال), وعيوناً (لسلمى طرفه ومحاجره) إلّا أنَّها أجمل منه في اكتناز جسمها, وتناسق أعضائها, ورشاقة حركتها.

ولكي يقنعنا الشاعر بأنَّ حبيبته أجمل من ظباء البادية وغزلانها, يعمد إلى قلب أطراف الصورة وأركانها, مستعيناً بتقنية بلاغية وهي التشبيه المقلوب, ومن ذلك مثلاً قوله:

أَيَا ظَبيـةَ الوَعسَـاءِ أَنتِ شَبيهـةٌ بِـذَلـفَـــاءَ إلّا أنَّ ذَلـفَاءَ أجـدَلُ
فعَينَـاكِ عَينَـاها وجِيدُكِ جِيدُهـا وشَكـلُـكِ إلّا أنَّـها لا تَـعـطِلُ[89]

ونرى أنَّه قد عَمَدَ في الصورة السابقة إلى عكس طرفي التشبيه, فجعل المُشبَّه مُشبَّهاً به, ووظيفة هذا النوع من التشبيه المبالغة, يقول ابن جني: "هذا فصلٌ من فصول العربية, تجده في معاني العرب... ولا تكاد تجد شيئاً من ذلك إلّا والغرض فيه المبالغة"[90].

وكيف لا تكون محبوبة الشاعر أجمل من الظباء, وهي التي خصّها الخالق (سبحانه) بصفاتِ وخِصالِ الجمال والحُسن, فهي حوراء بيضاء كالنهار إذا أشرق, وشعرها شديدُ السواد كالليل إذا أظلم:

بَيضاءُ تَسحَبُ مِن قِيامٍ فَرعَها وتَغِيبُ فِيهِ وَهوَ جَعدٌ أَسحَمُ
فَكَـأَنَّـها فِيـهِ نَهـارٌ مُـشـرِقٌ وكَـأَنَّـهُ لَـيلٌ عَـليها مُـظـلِـمُ[91]

وهي تشبه في بياض جبينها غمامة الصيف البيضاء:

وَفي الحَيِّ غَرّاءُ الجَبينِ كَأَنَّـها غَمَامـةُ صَيفٍ مُستَهَلٌّ صَبيـرُها[92]

ومن يدقِّق النظر في الصور السابقة, يجدها واضحةَ المعاني, رقيقةَ التشبيهات, بعيدةً عن كُلِّ غموضٍ أو تكلّفٍ أو إغراق, وهذا أمر طبيعي بالنسبة لشاعر يعيش في البادية, لنشوئه في بيئة لم تَتعقَّد فيها حياة الإنسان تعقيداً يوحي بالتَّكلُّف, ولذا فإنَّ الشاعر ينقل الصور التي تلوح أمامه - في البادية - نقلاً أميناً, بعيداً عن التعمُّق والإيغال في عقد المقارنات[93].

ومن شِدّة تولُّع الشاعر البدوي/ العذري بمحبوبته, فإنَّه لا يجد لها في الحُبِّ بديلاً, مهما تغيّرت به الأحوال والأزمان, فكُلُّ امرأةٍ في الدنيا تذكره بها ولا تنسيه, وتغريه بها ولا تسليه:

ولَـمّـا أَبَـى إلّا جِـمَـــاحـاً فُـــؤادُهُ ولَم يَسلَ عَن لَيلى بِمَالٍ ولا أَهلِ
تَسَلّى بِأُخـرى غَيرِها فإذا التي تَسَلّى بِهَـــا تُغرِي بِليلَى ولَا تُسلِ[94]

توحي الصورة بعذرية هذا الغزل العفيف, الذي يقصر المحب فيه عِشقه على امرأةٍ بعينها, فلا يجد بغيرها معنى للحب والمودة والحياة.

وحرصاً من الشاعر على هذا الحُبِّ النَّقي والمودة الطاهرة, نراه كثيراً ما يوصي محبوبته بأن لا تستمع لأقوال الوشاة والحُسّاد فيه, لأنَّهم لا غاية لهم إلّا تقويض عَهد المودّة, وفرط عِقدِ الوصال بينهما, فيقول:

ولَم نُكلِّمكِ في الحُسّادِ قَد حَضَروا وفي الكَلامِ عَنِ الحَاجاتِ تَخلِيجُ[95]

وإذا كان لكلام الوشاة تأثيرٌ في المرأة, فإنَّ ذلك لن يكون معه أبداً, لأنَّ مودّتها في قلبه لا تتبدّل, وحُبُّه لها لا يتغيّر:

لِيَهنكِ أنّـي لَـم أُطِـع بِـكِ وَاشِـياً عَـدُوّاً ولَـم أُصبِح لِقُـربكِ قَالِيـا[96]

ثم يخاطب حاسديه وعاذليه, مبرهناً على قيمة هذا الحُبِّ الذي صار همّ الناس وشغلهم, ولولا ذاك ما عذلوه:

وَيَـا عَـاذِلي لَـولا نَفاسَـةُ حُبِّهـا عَلـيكَ لَمَا بَـالَيتَ أنَّـكَ خَـابِـرُهْ[97]

لقد حاول الشاعر في غزله العفيف أن يرسم لنا صورة لحبيبته (المرأة المِثال), وهي صورة تُبيّنُ المعايير الجمالية للمرأة العربية في مجتمع البادية, وتُعَدُّ قصيدته الدالية خيرَ مِثالٍ على ذلك, وفيها يقول:

وَصُـفـرٌ تَـراقِـيـهَـــا وحُـمـرٌ أَكُـفُّـهـــــا وسُودٌ نَواصِيها وبِيضٌ خُدودُهـــا
مُـخَـصّـــرةُ الأوسَـــاطِ زانَـت عُـقُودَهـــا بِأَحسَـنَ مِمّـا زَيَّـنَـتـهـا عُـقُـودُهـا
وَفِـيـهِـــنَّ مِـقـــلَاقُ الـوِشَـــاحِ كَـأَنَّـهـــا مَـهَـــاةٌ بِـتُـربَـانٍ طَـويلٌ عُـقُودُهـــا
مِنَ البِيضِ لَا تُخزَى إذَا الرّيحُ ألصَقَت بِهَا مُرطَهَا أَو زَايِلَ الحُلِيُّ جِيدَهـا[98]

ولعلَّ ذلك هو ما جعل النقاد القدماء يُثنونَ على هذا الغزل البدوي, ولا سِيّما في القصيدة الدالية الأخيرة, فقال عنها أبو عبيدة بعد أن سمعها: "والله لَودَدتُ أنَّ الشعراء قاربته فيه"[99], ومن هنا, لا تكاد تجد كِتاباً من كُتُبِ الأدب أو البلاغة إلّا وقد ذكر هذه الأبيات أو أشار إليها[100].

كما أنَّ طغيان خصائص العذرية وسماتها على غزل الحسين بن مُطير، أدَّى إلى اختلاط شعره الغزلي بشعر غيره من العذريينَ، كما حدث لقصيدته الدالية المشهورة التي مطلعها:

لَقَد كُنتُ جَلداً قَبلَ أنْ تُوقِدَ النَّـوى على كَبِدي نَـاراً بَطِيئـاً خُـمُـودُهـا
وَلَـو تُرِكَـت نَـارُ الهَوى لَـتَـضـرَّمَـت وَلـكِـنَّ شَـوقـاً كُـلَّ يَـــومٍ يَـزِيـدُهـا

فَقَد جُعِلَت في حَبّةِ القَلبِ والحَشَا عِهادُ الهَوى تَولّى بِشَوقٍ يُعيدُها
وَقَد كُنتُ أَرجُو أنْ تَموتَ صَبَابَتي إذا قَـدُمَت أَيّـامُـهـا وعُـهـودُهـا[101]

فقد قال عنها النقاد القدماء: "في هذا الشعر تخليط، منه أبياتٌ لابن الدُّمينة وللحسين بن مُطير، وقد اختار العلماء والمؤلفون من كِلا الشعرينِ أبياتاً, وفي الشعر المذكور أبياتٌ مجهولةٌ لا يُدرَى مَن قالها"[102]، وهذا مثالٌ على سبيل الذكر لا الحصر، فهناك الكثير من أشعاره في الغزل قد اختلطت بأشعار غيره من العذريينَ[103].

ومن هنا فقد كان غزل الشاعر غزلاً عفيفاً, هيّأت له بيئةُ البادية عناصرَه وأدواته وصوره, فظهر ذلك جليّاً في المعاني, وأسلوب التعبير, وطريقة التصوير, وهو غزلٌ يختلف عن الغزل العباسي، الذي كان في مُجمَله - كما مرّ بنا - غزلاً حضرياً مادّياً لا يخلو من فُحشٍ ومُجونٍ وتَهتُّك، وبذلك مثّل هذا الغرض صورةً من صور البداوة, ومظهراً من مظاهرها في شعر الحسين بن مُطير الأسدي.

ثانياً: مظاهر البداوة وتجلّياتها في غرض الحنين

هذا الغرض هو الآخر يُعَدُّ سِمةً من سِمات البداوة ومظهراً من مظاهرها في شعر الحسين بن مُطير، لارتباط هذه الظاهرة (الحنين) بروح البداوة وطابعها.

فإذا كان الحنين إلى الأوطان ظاهرةً إنسانيةً عامةً عند الناس، فإنَّها عند البدوي أقوى وأبرز, لطبيعة حياته, وشِدّة تعلّقه وارتباطه بوطنه وبيئته, يقول الدكتور يحيى الجبوري: "الحنين إلى الأوطان طبيعة في النفس البشرية, وفي البدوية خاصة, وهو مُنسَجِمٌ مع طبيعة العربي الحسَّاسة في بيئته الصحراوية الواسعة"[104].

لذا فقد ارتبط الحنين إلى الأوطان بكرامة البدوي واعتزازه, وكانت الغربة عن الوطن همّاً شديداً, ويروى أنّه قيل لأعرابي: "ما الغبطة؟ قال: الكفاية, ولزوم الأوطان, والجلوس مع الإخوان. قيل: فما الذُّل؟ قال: التنقُّل في البلدان, والتنحي عن الأوطان"[105].

فالحنين إلى الأوطان انتماءٌ وولاء, وشوقٌ وتَعلُّق, ومن الطريف أنَّ هذا الحنين لم يقتصر على الإنسان البدوي وحده, بل شمل أيضاً حيوان البادية, فالإبل تَحِنُّ إلى أولادها ومرابضها, يقول ابن دريد: "حنين الإبل, نزوعها إلى أوطانها وأولادها"[106], وبلغ ذلك مضرب المثل, فقالوا قديماً: "يَحِنُّ اللبيبُ إلى وطنه كما يَحِنُّ النجيبُ إلى عَطَنِه"[107], والنجيب من الإبل الكريم العتيق, فشبهوا حنين الإنسان إلى أوطانه بحنين الإبل, ولذلك "كان الحنين غريزة في نفس العربي في باديته"[108].

فقد عاش البدوي مع قبيلته في عرض الصحراء, يتنقل بين أرجائها ومرابعها سعياً وراء الماء والخِصب, وكان لِكُلِّ قبيلةٍ منازلها ومراعيها المُحدَّدة التي ترتادها, فتكون "الأرض التي تحل القبيلة بها (منزلاً) لها, و(منازل) لأبنائها, يضربونَ بها خيامهم, فتكون الأرض مضارب لهم, تستوطنها وتقيم بها, وتصير وطناً لها, أي دار إقامة, ما دامت تقيم بها"[109].

فإذا ما تركت القبيلة أرضها إلى أرضٍ أخرى يبقى الحنين إلى الأرض الأولى والموطن الأول, فكان الشاعر البدوي إذا مرَّ بها وقف عند أطلالها يبكيها ويبكي أهلها, ويستذكر أيامه الخوالي مع أحبابه في ربوعها, فليس للأرض مكانةٌ دون ساكنيها, ولذلك كان البدوي إذا ما اغترب عن أرضه/ وطنه, ومجتمعه/ قبيلته, كثر حنينه إلى الديار وإنْ كانت خرائب وأطلالاً[110].

ومن هنا فقد كان حُبُّ الأوطان, والحنين إلى الأهل والديار, مرتبطاً في نفس البدوي بمفهوم الوفاء، وحُسنِ الخُلق, وكرمِ الأصلِ والمَنبَت، وسلامةِ الطبع[111]، وفي هذا يقول الغزولي: "إذا شِئتَ أن تعرف وفاءَ الرجل، وحُسنَ عهده، وكرمَ أخلاقه، وطهارةَ مولده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه"[112].

ومن يقرأ شعر الحسين بن مُطير يجد فيه الحنين إلى نجدٍ والتشوق للصحراء، تناثرت على صفحات ديوانه, ومن جميل شعره في هذا الباب، قوله:

عَـرَفتُ مَنازِلاً بشِعابِ شَـرجٍ فحيَّيتُ المَنازِلَ والشِّعَابَا
مَنـازِلُ هَيّجَت للقَلبِ شَوقَـاً وللعَينينِ دَمعَاً واكتِئابَـا[113]

يمتلئ قلب الشاعر شوقاً، وتفيض عيونه دمعاً حين يرى منازل البادية وشِعابِها، تلك المنازل التي فارقها بجسده ولكنَّها ظلَّت تسكنه هاجساً وذكرى مهما نأى عنها وابتعد, وكثيراً ما يتوسَّع الشاعر البدوي في الحنين إلى الوطن, فيتعدّى هذا الشوق ديار الشاعر أو منازل قبيلته ومضاربها, فيشمل كُلَّ ما حولها, ولذلك كثُر الحنين إلى نَجدٍ والتغنِّي بها, حتى صارت مُلهِمة الشعراء, ورمزاً للشوق والحنين إلى الأرض والوطن[114]، ومن روائع الحسين بن مُطير في الحنين إلى بادية نَجد, قوله:

بَكَّرَتْ علَـيَّ فَهيّجَت وَجدَا هُوجُ الرّياحِ واذّكَّرتُ نَجدَا
أَتَحِنُّ مِن شَوقٍ إذا ذُكِرتْ نَجدُ وأَنـتَ تَركتَهـا عَمـدَا[115]

إنَّ حنين الشاعر إلى نَجدٍ يتضاعف كُلَّما ذُكِر اسمها, أو هَبّت عليه نسائم من تلقائها, فالريح من مثيرات الحنين والشوق إلى الأهل والديار, فالشاعر الذي يَهُزُّه الشوقُ والحنينُ إلى وطنه "تُذكِّره وتُهيّجه مُثيراتٌ تعصف به وتثير أشجانه, وكثيراً ما تكون سبباً لعذابه, فهي تُذكِّره بغربته, وتُذكِّره بأحبابه وأهله وأوطانه, منها هذا البرق الذي يتوهج من ناحية وطنه, والريح التي تأتي بأنسام أرضه, وشذى أحبابه"[116].

ولا عجب أن يشتاق الشاعر إلى البادية ويَحِنَّ كُلَّما هبّت عليه نسائمها, وتفيض عيناه بالدمع إذا ما رأى شِعابها ومنازلها, فحُبُّه للبادية قد بلغ درجة العشق, وحُقّ للعاشق أن يَحِنّ ويشتاقَ ويتذكّر:

أَحِنُّ ويَثْنِيني الهَوى نَحوَ يَثْرِبَ ... ويَزدَادُ شَوقي كُلَّ مَمسَى وشَارِقِ
كذاكَ الهَوى يَزْرِي بِمَن كَانَ عاشِقاً ... ونَولُ الهَوى يَحنُو على كُلِّ عَاشِقِ[117]

إنَّ هذا الحنين إلى صحراء نَجدٍ وبواديها هو من مظاهر البداوة في شعر الحسين بن مُطير الأسدي، وهذه الأشعار هي "تعبير عمّا كان يحسه هو وغيره من شعراء البادية إذا ابتعدوا عنها وشعروا بالغربة بين أهل المدن والحواضر"[118].

وتتجلّى بذلك العلاقة التلازمية بين الحنين والبداوة, وقد تَنَبّه الدكتور يحيى الجبوري إلى هذا الأمر, وعدّ تَبَدُّل طبيعة الحياة العربية البدوية إلى حياةٍ حضرية تطغى عليها المدنية السبب الرئيس في انحسار هذا الغرض الشعري (الحنين) في العصر العباسي والعصور التي تليه, وفي هذا يقول: "قَلَّ شعر الحنين إلى الأوطان في العصر العباسي نسبةً إلى العصرينِ الجاهلي والأموي, وذلك للاستقرار, واتساع المدن, وانتشار الحضارة, واختلاط الشعوب... وأصبحت الحياة مدنيةً بعيدةً عن البداوة مصدر الشوق والحنين"[119].

ومن هنا كان شعر الحنين يُمثِّل صورةً من صور البداوة ومظاهرها في شعر الحسين بن مُطير, لأنَّه نشأ وترعرع في البادية, التي كانت تتميّز بِعُزلتها عن بهرجة المدينة, وقد ساعد ذلك على بقاء فِطرة الشاعر وسليقته البدوية "صافيةً نقيةً من المؤثرات الحضارية التي طغت على مَعالِم الحياة في العصر العباسي"[120].

ثالثاً: مظاهر البداوة وتجلّياتها في غرض الرثاء

لم يصلنا من هذا الغرض للحسين بن مُطير الأسدي إلّا قصيدةٌ واحدةٌ، وهي في رثاء معن بن زائدة، إلّا أنَّها جاءت حافلةً بمظاهر البداوة، لغةً وأسلوباً، وصوراً ومعاني، ومن ذلك مثلاً الدعاء لقبر المَيتِ بالسُّقيا:

أَلُمَّا على مَعنٍ وقولَا لِقَبرِهِ ... سَقَتكَ الغَوَادي مَربَعاً ثُمَّ مَربَعا[121]

إنّ طلب السقيا لقبر الميّت هي صورة بدوية, فلقد كان أهل البادية يعيشون في صحراء شاسعة تشح فيها مصادر المياه, ولَعلَّ هذا الحرمان, وندرة المياه, وجدب الأرض, هو الذي جعلهم يبالغون في تقدير الخِصب، ولذلك بلغ اعتزازهم بالمطر مبلغاً عظيماً, حتى أصبح غاية دعائهم للمرجو والمشكور أن يقولوا:

"سقى الله فلاناً الغيث، وطلبوا له السُّقيا"[122].

فطبيعة الحياة البدوية هي التي جعلت من الماء/ المطر رمزاً وجودياً, ومعادلاً موضوعياً للحياة عند أهل البادية, وقد انعكس ذلك لا شعورياً في تفكير الشاعر البدوي, وظهر في فنونه الشعرية, ولذلك نجدهم في موضوع الرثاء والتأبين "لم يجدوا أحسن دعاءً وترحُّماً من استمطار الغيث؛ لأنَّه أحسنُ النعمى, وأفضلُ السُّقيا, فكُلَّ ما استمطروه, يجودُ وابِلهُ عليهم, ويسُحُّ ماؤهُ, وهذا ما كانوا يَصبُونَ إليه"[123].

ومن هذه الصور – أيضاً – العجب للحفرة التي ضمّت المرثي وقد كان كالبحر جوداً وكرماً:

فَيَا قَبرَ مَعنٍ أنتَ أولُ حُفرةٍ ... مِن الأرضِ خُطّت للمَكارِمِ مَضجَعا
ويَا قبرَ مَعنٍ كيفَ وَاريتَ جُودَهُ ... وَقد كَانَ مِنهُ البَرُّ والبحرُ مُترَعا
بَلى قَد وَسِعتَ الجُودَ والجُودُ مَيّتٌ ... ولو كَانَ حَيّاً ضِقتَ حتّى تَصَدَّعا[124]

إنّ المرثيّ هو رجل كريم, تجتمع فيه كُلُّ الصفات الحسنة والأخلاق الحميدة, ولذلك يجعله الشاعر معادلاً لجميع المكارم, ومن هنا فهو يعجب لهذه الحفرة [1]الصغيرة (القبر) كيف سَتَتّسع لتضمّ مرثيّه الذي ملأ البر والبحر كرماً وعطاءً؟! ثم يستدرك قائلاً بأنَّ الجود والكرم الذي هو كالبحر قد مات, ولولا ذاك لتصدّعت الأرض قبل أن تضم مرثيه، ولذلك فإنَّ الكرم مات بموته، وانقطع الخير عن الناس بذهابه:

وَلمّا مَضَى مَعنٌ مضَى الجُودُ وانقَضَى ... وأَصبحَ عَرنينُ المَكارِمِ أَجدَعا
ومَا كَانَ إلّا الجُودُ صُورةَ وَجهِهِ ... فَعاشَ رَبيعَاً ثُمَّ وَلّى ووَدَّعا
وكُنتَ لِدارِ الجُودِ يَا مَعنُ عَامِراً ... وقَد أصبَحَتْ قَفراً مِن الجُودِ بَلقَعا[125]

رسم الشاعر مجموعة من الصور الشعرية التي تُصوّرُ مكارم مرثيه وخصاله, الذي كان يُمثِّل الجود والكرم بين أهل زمانه, ولذلك فإنَّ الجود قد مات وانقضى بعد مَعن, وأنَّ عرنين المكارم صار أجدعاً, وأن للجود وجهاً هو صورة وجه معن, أو أنّ للجود داراً كانت عامرة بحياة معن, فلمّا مات صارت قفراً خلاءً لا حياة فيها, والشاعر في جميع هذه الصور يعمد إلى فن الاستعارة المكنية, مستعيناً بتقنية التشخيص وهو "خلع الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية, هذه الحياة التي قد ترتقي فتصبح حياةً إنسانية"[126], وبذلك يُحقِّق التشخيص بُعداً نفسياً, بما يُوفِّره من عنصر الإثارة لدى المتلقي, بتصويره المعنويات في صورة المحسوسات, لاغياً بذلك الحدود التي تفصل بينهما, وموحياً باتحادهما, وهي صورٌ ومعانٍ توحي بمآثر ومكارم المرثي, ولذا فإنَّ جميل خصاله وكريم صنائعه تأبى أن يموت ذكره بين الناس حتى بعد موته ورحيله:

أَبَى ذِكرُ مَعنٍ أَن تَمُوتَ فِعَالُهُ ... وإن كَانَ قَد لَاقَى حِمَامَاً ومَصرَعا[127]

إنَّ تشبيهه المرثي بالبحر هي صورةٌ بدوية, ومعنى من معاني الجود عند أهل البادية والصحراء, والشاعر لم يخرج عن سُنَنِ الشعراء الجاهليينَ، كما أنَّ معجمه الشعري جاء حافلاً بمفردات البداوة وألفاظها، مثل: (الغوادي, مربعا، مضجعا، مترعا، الجود، عرنين، أجدعا، وَلّى، قفراً, بلقعا، حِمَاما).

ولعل غلبةَ مظاهر البداوة وطابعها وروحها على صور المرثية ومعانيها ولغتها وأسلوبها هو سبب ذيوعها وشهرتها وتناقلها في كُتُبِ الأدب والتاريخ، وهو - أيضاً - سِرُّ إعجاب النقاد القدماء بها غاية الإعجاب، حتى قال عنها أبو هلال العسكري: "إنَّها أرثى ما قيل في الجاهلية والإسلام"[128]، ووصفها ابن خلكان بأنَّها: "من المراثي النادرة"[129], وقال ابن الأثير إنّها: "أعجبُ ما سمعتُ في هذا الباب"[130].

رابعاً: مظاهر البداوة وتجلّياتها في غرض الهجاء

ونلاحظ أنَّ شعر الحسين يخلو من غرضٍ كبيرٍ لا نكاد نعرف شاعراً عباسياً ترفّع عنه، وهو غرض الهجاء، الذي كان يتخذه الشعراء وسيلةً للكسب والابتزاز, وسلاحاً يحمي الشاعر من خصومه ومنافسيه[131].

ونحن لا نجد للحسين بن مُطير الأسدي بيتاً واحداً في هذا الغرض، وقد عزا الدكتور محسن غياض ذلك إلى "كرمٍ في خُلُقِ الرجل, وعِفةٍ في طبعه"[132], وهذا يَدُلُّ على مدى تأثُّره بروح البادية، وسمو سجاياها، ونقاء فطرتها، وقد أشار الشاعر إلى هذا الأمر في ديوانه، إذ يقول:

أُحِبُّ مَكَارِمَ الأخْلاقِ جَهْدي ... وأَكْرَهُ أنْ أُعَيْبَ وأنْ أُعَابَا
وَأصفَحُ عَن سِبابِ النّاسِ حِلماً ... وشَرُ النّاسِ مَنْ يَهوَى السِّبابَا
وَأتْرُكُ قَائِلَ العَورَاءِ عَمداً ... لِأُهلِكَهُ ومَا أَعيَى الجَوَابَا
وَمَنْ هَابَ الرِّجالَ تَهَيّبوهُ ... وَمَنْ حَقَرَ الرّجالَ فَلَنْ يُهَابَا[133]

ويضيف مُحقِّق الديوان سبباً آخر لِخُلُوّ شعر الحسين بن مُطير من غرض الهجاء، وهو أنّ الشاعر كان يسكن البادية، وهذا ما يجعله بعيداً عن العاصمة، وما كان يدور فيها بين الشعراء من خصوماتٍ وحسدٍ ومنافسة, وهو بذلك غير مضطرٍ إلى الهجاء طالما أنّه كان بعيداً عن مسرح الأحداث في عصره وزمانه، وطالما لم يتعرّض له أحدٌ بصغيرٍ من المكروه أو كبير[134].

وهكذا شكّلت هذه الأغراض (الغزل، الحنين، الرثاء، الهجاء) بلغتها وأسلوبها ومعانيها وصورها أبرز مظاهر البداوة وتجلّياتها في شعر الحسين بن مُطير الأسدي.

(الخاتمة)

إنّ هذه الخاتمة هي مجموعة من النتائج التي ترتقي إلى مستوى القناعات حسبما توصّل إليه الباحث بعد الدراسة والتقصّي في هذا الموضوع , وفيما يأتي أبرز هذه النتائج:

1- إنّ الحقائق والدلالات المستقاة من النصوص الشعرية كانت صادقة في رسم صور البداوة في شعر الحسين بن مُطير الأسدي, وهي صور تنبثق من داخل بيئة الشاعر البدوية, وتحشد طاقتها وعناصرها من معطيات البادية من حوله.
2- بعد الرصد والمعالجة, توصّل البحث إلى أنّ البداوة كان لها مظاهر وتجلّيات في شعر الحسين بن مُطير الأسدي, وقد تَجلَّت في الأغراض والموضوعات الشعرية, التي ظهرت فيها صور البداوة واضحة جَلِيّة من خلال رصد مَعالِم الحياة البدوية - الحسية منها والمعنوية – وتصويرها, إنساناً وحيواناً, مشاعراً وسلوكاً, أرضاً وسماءً, حياةً وجماداً, واقعاً وأحداثاً, على نحو ما رأينا في: (الوصف, الغزل، الحنين, الرثاء، الهجاء)، كما تَجسَّدت في لغة الشاعر وأسلوبه, ومعانيه وصوره.
3- وأمّا مظاهر البداوة وتجلّياتها في حياة الشاعر طابعاً وروحاً وخُلُقاً وسلوكاً, وانعكاس ذلك على شعره، فقد تجلّى في أمرينِ؛ الأول: خلو ديوانه من الشعر السياسي, والثاني: ضياع شعره وخمول ذكره.
4- وبناءً على ما تَقدّم يمكن القول: بأنَّ البداوة قد تَشرَّبت في شخصية الشاعر وشعره, روحاً وجسداً, ولغة وأسلوباً, وتعبيراً وتصويراً, وأغراضاً وموضوعاتٍ شعرية, حتى غدت (البداوة) من أبرز مظاهر شعر الحسين بن مُطير الأسدي وخصائصه الموضوعية والفنية.

❖ **الهوامش والإحالات:**

(*) هو الحسين بن مُطير بن مكمل مولى بني أسد بن خزيمة , وكان جده مكمل عبداً فأعتقه مولاه, ولد في حدود سنة (100هـ), وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، ومنزله بجوار زُبالة وهي موضع بطريق مكة من الكوفة, لم تذكر المصادر شيئاً كثيراً عن مولده ونشأته واسرته سوى ولد له اسمه مُطير ذكره ياقوت، وفد على الوليد بن يزيد مع مروان بن أبي حفصة، ثم اتصل بالمهدي ومعن بن زائدة ومدحهما، توفي سنة (170هـ). ينظر في ترجمته: الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني: 16/ 17؛ ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي: 10/ 166؛ وخزانة الأدب، عبد القادر البغدادي: 2/ 485؛ وعيون التواريخ، ابن شاكر الكُتبي: 5/ 507.

(1) مختار الصحاح, محمد بن أبي بكر الرازي: 41 – 42.

(2) تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي 37/ 149.

(3) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار): ٤٥.

(4) ينظر: أثر البداوة في شعر (خداش بن زهير العامري)، د. علي محمد السيد حنورة: 1116.

(5) مقدمة ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، عبد الرحمن بن خلدون:1/ 245 – 247؛ وينظر: موسوعة مصطلحات ابن خلدون والشريف علي محمد الجرجاني، د. رفيق العجم: ١/ ٤٠ – ٤١.
(6) ينظر: مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية (منهج وتطبيق)، د. محمد عبد محجوب: 11.
(7) قصة الأدب في الحجاز، د. عبدالله عبدالجبار و د. محمد عبدالمنعم خفاجي: 165 – 166.
(8) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، د. شوقي ضيف: 82.
(*) المدر: البيوت المبنية بالطين أو ما شابهه.
(*) ظواهر المدن: أطرافها.
(9) تحقيقات لغوية، د. ناصر الدين الأسد: 98.
(10) المصدر نفسه: 90.
(11) ينظر: أثر البداوة في شعر (خداش بن زهير العامري): 1120.
(12) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني: 1/ 225.
(13) ينظر: أثر البيئة في الشعر، عبد الهادي صافي: 45.
(14) ينظر: فن الشعر، أرسطو طاليس: 55 وما بعدها.
(15) ينظر: أثر البيئة في الشعر: 45.
(16) في النقد الأدبي الحديث (منطلقات وتطبيقات), د. فائق مصطفى و د. عبد الرضا علي: 169.
(17) خِداش بن زهير العامري (حياته وشعره)، د. رضوان محمد حسين النجار: 2/ 353.
(18) ينظر: الأدب العربي في العصر العباسي, د. ناظم رشيد: 21 – 27, 73 – 87.
(19) شعر الحسين بن مُطير: توطئة المحقق: 15.
(20) ينظر: تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول): 290 – 340؛ و تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني): 369 – 399.
(21) طبقات الشعراء:119.
(22) ينظر: الفهرست: 163.
(23) شعر الحسين بن مُطير الأسدي, توطئة المحقق: 10.
(24) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني: 278/2.
(25) الوصف عند امرىء القيس (دراسة تحليلية)، نصر الدين فارس: 13.
(*) علسيات: نسبة إلى بني علس. ملاجيج: ألجت الإبل إذا صوتت. الدوسري: القوي من الإبل. السياج: شجر صلب الخشب. الحزق: الجماعات. العناجيج: الابل النجيبة. استوسقت: استجابت لطردها. الهواديج: جمع هودج.
(26) شعر الحسين بن مُطير الأسدي: 37 – 38.
(27) طبقات الشعراء، ابن المعتز: 115.
(28) شعر الحسين بن مُطير الأسدي: 33.
(29) ينظر: بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية , عمر عبد العزيز: 122.
(30) ينظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي, د. نوري حمودي القيسي: 79 - 82.
(31) صورة البداوة في الشعر العباسي (التهامي أنموذجاً)، عائشة عناد: 43.
(32) شعرنا القديم والنقد الجديد، أحمد وهب رومية: 200.
(33) ينظر: صورة البداوة في الشعر العباسي: 58.
(34) ينظر: المصدر نفسه: 41.
(35) شعر الحسين بن مُطير الأسدي: 50.
(36) المصدر نفسه: 57.
(37) ينظر مثلاً: ديوان امرئ القيس: 89؛ وديوان بشر بن أبي خازم: 137؛ وديوان عنترة بن شداد: 394؛ وديوان عبيد بن الأبرص: 67؛ وديوان زهير بن أبي سلمى: 193 – 194.
(38) لغة الشعر عند بدر شاكر السياب، فاروق مواسي: 101 – 102.
(39) شعر الحسين بن مُطير الأسدي: 67.
(40) صورة البداوة في الشعر العباسي (التهامي أنموذجاً): 37.
(41) رمز الماء في الشعر الجاهلي، ثناء أنس: 133.
(42) صورة البداوة في الشعر العباسي (التهامي أنموذجاً): 35.
(43) شعر الحسين بن مُطير الأسدي: 38.
(44) صورة البداوة في الشعر العباسي (التهامي أنموذجاً): 13.
(45) شعر الحسين بن مُطير الأسدي، توطئة المحقق: 15.
(46) المصدر نفسه: 42.
(*) زج: جمع ازج وزجاء وهو الطويل الساقين. زل: جمع أزل وزلاء وهو الخفيف الوركين. الهزاليج: السريعة. تخديج: خدجت الناقة, ألقت ولدها قبل أوانه. تماشقه: تمزقه, ومشق الثوب: مزقه.
(47) الصحراء في الشعر العباسي، أحمد موسى: 111؛ نقلاً عن: صورة البداوة في الشعر العباسي (التهامي أنموذجاً): 57.
(48) الطبيعة في الشعر الجاهلي: 215.

(49) شعر الحسين بن مُطير الأسدي: 39.
(50) زهر الآداب: 2/ 98.
(51) شعر الحسين بن مُطير الأسدي ، توطئة المحقق: 18.
(52) ينظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي: 69.
(53) شعر الحسين بن مُطير الأسدي: 31.
(54) ينظر: المصدر نفسه، توطئة المحقق: 19.
(55) الطبيعة في الشعر الجاهلي: 69.
(56) شعر الحسين بن مُطير الأسدي: 27 .
(57) المصدر نفسه: 45.
(58) ينظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي: 34.
(59) الصورة البدوية في الشعر العباسي، ضياء عبد الرزاق العاني: 30.
(60) الطبيعة في الشعر الجاهلي: 47.
(61) ديوان المعاني: 2/ 6.
(62) طبقات الشعراء: 118.
(63) ينظر: الشعر والشعراء: 1/ 92.
(64) شعر الحسين بن مُطير الأسدي: 27.
(65) الطبيعة في الشعر الجاهلي: 47.
(66) شعر الحسين بن مُطير الأسدي: 27 – 28.
(67) المصدر نفسه: 28 – 29.
(68) صورة البداوة في الشعر العباسي (التهامي أنموذجاً): 48.
(69) ينظر: الموشى: 69.
(70) الحب العذري (نشأته وتطوره): 52.
(71) ينظر: ديوان الصبابة, ابن أبي حجلة: 2/ 55؛ ومعجم قبائل العرب, عمر رضا كحالة: 768.
(72) ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي: 4/ 338.
(73) دائرة المعارف الإسلامية: 7/ 109 (مادة جميل بن معمر) نقلاً عن: جميل بثينة والحب العذري، د. خريستو نجم: 57.
(74) ينظر: الحب العذري (نشأته وتطوره): 52.
(75) الغزل في عصر بني أمية: 41.
(76) ينظر: صورة البداوة في الشعر العباسي (التهامي أنموذجاً): 38.
(77) شعر الحسين بن مُطير الأسدي, توطئة المحقق: 12.
(78) تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول), د. شوقي ضيف: 370.
(79) الأدب العربي في العصر العباسي: 45.
(80) تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني): 443.
(81) ينظر: الأدب العربي في العصر العباسي: 45.
(82) تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول): 370 – 371.
(83) شعر الحسين بن مُطير الأسدي, توطئة المحقق: 12.
(84) المصدر نفسه: 39.
(85) المصدر نفسه: 67.
(86) المصدر نفسه: 65.
(87) المصدر نفسه: 54.
(88) ينظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي: 113.
(89) شعر الحسين بن مُطير الأسدي: 65.
(90) الخصائص: 1/ 300.
(91) شعر الحسين بن مُطير الأسدي: 72.
(92) المصدر نفسه: 50.
(93) ينظر: الطبيعة في الشعر الجاهلي: 250 – 251.
(94) شعر الحسين بن مُطير: 70.
(95) المصدر نفسه: 37.
(96) المصدر نفسه: 75.
(97) المصدر نفسه: 55.
(98) المصدر نفسه: 45.
(99) الأغاني: 16/ 25.
(100) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: 2/ 10 – 11؛ والصناعتين، أبو هلال العسكري: 312، 402.

(101) شعر الحسين بن مُطير الأسدي: 44.
(102) سمط اللآلئ، البكري: 1/ 178.
(103) ينظر: شعر الحسين بن مُطير الأسدي: 57, 72, 75. (الهوامش وتخريج الأبيات).
(104) الحنين والغربة في الشعر العربي, د. يحيى الجبوري: 9.
(105) المحاسن والأضداد, الجاحظ: 54.
(106) جمهرة اللغة، ابن دريد: 64/1؛ وتهذيب اللغة, الأزهري: 448/3.
(107) رسائل الجاحظ (رسالة الحنين إلى الأوطان), الجاحظ: 407/2.
(108) الحنين والغربة في الشعر العربي: 9.
(109) تاريخ العرب قبل الإسلام, د. جواد علي: 342/4.
(110) ينظر: الحنين والغربة في الشعر العربي: 20.
(111) ينظر: المصدر نفسه: 14.
(112) مطالع البدور في منازل السرور: 2/ 292.
(113) شعر الحسين بن مُطير الأسدي: 36.
(114) ينظر: الحنين والغربة في الشعر العربي: 20 – 21, 173.
(115) شعر الحسين بن مُطير الأسدي: 49.
(116) الحنين والغربة في الشعر العربي: 155.
(117) شعر الحسين بن مُطير الأسدي: 63.
(118) المصدر نفسه: توطئة المحقق: 14.
(119) الحنين والغربة في الشعر العربي: 103.
(120) صورة البداوة في الشعر العباسي (التهامي أنموذجاً): 38.
(121) شعر الحسين بن مُطير الأسدي: 60.
(122) الطبيعة في الشعر الجاهلي : 37.
(123) المصدر نفسه: 49.
(124) شعر الحسين بن مُطير الأسدي: 60.
(125) المصدر نفسه: 60 – 61.
(126) التصوير الفني في القرآن, سيد قطب: 57.
(127) شعر الحسين بن مُطير الأسدي: 61.
(128) ديوان المعاني: 2/ 175.
(129) وفيات الأعيان: 4/ 340.
(130) الجامع الكبير: 95.
(131) ينظر: شعر الحسين بن مُطير الأسدي، توطئة المحقق: 14.
(132) المصدر نفسه: 14.
(133) المصدر نفسه: 35 .
(134) المصدر نفسه: توطئة المحقق: 15.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً : الكتب المطبوعة

- الأدب العربي في العصر العباسي: د. ناظم رشيد , دار الكتب، (د.ط), الموصل – العراق، 1410هـ = 1989م.
- الأغاني: أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني (ت356هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية، (د.ط), القاهرة – مصر, 1927م.
- بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية (الأسطورة والرمز): عمر بن عبد العزيز, مؤسسة الانتشار العربي، بيروت – لبنان، ط1, 2009م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الإسكندرية – مصر، (د.ط)، (د.ت).
- تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط11، (د.ت).
- تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول): د. شوقي ضيف, دار المعارف، القاهرة – مصر، ط14، 1966م.
- تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني): د. شوقي ضيف, دار المعارف، القاهرة – مصر، ط2، 1973م.
- تاريخ العرب قبل الإسلام: د. جواد محمد علي، مطبعة الحرية، بغداد – العراق، (د.ط)، 1958م.
- تحقيقات لغوية: د. ناصر الدين الأسد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمّان – الأردن، ط1، 2003م.

- التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، دار المعارف، القاهرة – مصر، (د.ط)، 1963م.
- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت370هـ)، (د.مط)، القاهرة – مصر، (د.ط)، 1966م.
- الجامع الكبير: ضياء الدين ابن الأثير(ت637هـ)، تحقيق: د. مصطفى جواد و د. جميل سعيد , مطبعة المجمع العلمي العراقي, بغداد – العراق، 1956 م .
- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت321هـ)، نشر وتحقيق: كرنكو، حيدر آباد، (د.ط), 1344هـ.
- جميل بثينة والحب العذري: د. خريستو نجم، دار الرائد العربي، بيروت – لبنان، (د.ط)، 1402هـ = 1982م.
- الحب العذري (نشأته وتطوره): د. أحمد عبدالستار الجواري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان، ط1، 2006م.
- الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الأوطان): د. يحيى الجبوري، دار مجدلاوي, عمان – الأردن، ط1، 1428هـ = 2008م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (ت1093هـ), مطبعة بولاق، القاهرة – مصر، (د.ط), 1299هـ.
- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق، ط4، 1990م.
- ديوان الصبابة (على هامش تزيين الأسواق): شهاب الدين أحمد بن أبي حجلة التلمساني (ت776هـ)، مطبعة بولاق، القاهرة – مصر، (د.ط), 1291هـ.
- ديوان المعاني: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت395هـ)، مطبعة القدس، القاهرة – مصر، (د.ط), 1352هـ.
- ديوان امرئ القيس, تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة – مصر، (د.ط), 1958م.
- ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق: د. عزة حسن، مطبعة الترقي, دمشق - سورية، (د.ط)، 1960م.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: الأستاذ مصطفى السقا، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة – مصر، (د. ط) 1948م.
- ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق: د. حسين نصّار، (د. مط)، القاهرة – مصر، 1377هـ = 1957م.
- ديوان عنترة بن شداد العبسي، تحقيق: عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي، (د.مط) , القاهرة – مصر، 1958م .
- رسائل الجاحظ (رسالة الحنين إلى الأوطان): أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة – مصر، (د.ط)، 1343هـ = 1965م.
- رمز الماء في الشعر الجاهلي: ثناء أنس، دار قباء، القاهرة – مصر، (د.ط)، 2000م.
- سمط اللآلي في شرح أمالي القالي: أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري (ت487هـ)، (د.مط), القاهرة، 1936م.
- شعر الحسين بن مُطير الأسدي، جمع وتحقيق: د. محسن غياض، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق، (د.ط)، 1989م.
- الشعر والشعراء: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت – لبنان, (د.ط)، 1964م.
- شعرنا القديم والنقد الجديد: د. أحمد وهب رومية، دار عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1996م.
- الصورة البدوية في الشعر العباسي: ضياء عبد الرزاق العاني، دار دجلة، عمان – الأردن، ط1، 2010م.
- طبقات الشعراء: أبو العباس عبدالله بن المعتز (ت296هـ)، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة – مصر، (د.ط)، (د.ت).
- الطبيعة في الشعر الجاهلي: د. نوري حمودي القيسي، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط1، 1425هـ = 2004م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني(ت456هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط5، 1981م.
- عيون التواريخ: ابن شاكر الكتبي (ت764هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة – مصر، (د.ط)، (د.ت).
- الغزل في عصر بني أمية: د. إحسان النص، دار الفكر، دمشق – سورية، (د.ط)، 1976م.
- فن الشعر، أرسطو طاليس، ترجمة: د. إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة – مصر، (د.ط)، ١٩٨٣م.
- الفهرست: محمد بن إسحاق ابن النديم (ت384هـ)، مطبعة الرحمانية، القاهرة – مصر، (د.ط)، 1348هـ.
- في النقد الأدبي الحديث (منطلقات وتطبيقات): د. فائق مصطفى و د. عبد الرضا علي، دار الكتب، الموصل – العراق، ط1، 1989م.
- قصة الأدب في الحجاز: د. عبدالله عبد الجبار و د. محمد عبدالمنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة – مصر، (د.ط)، 1980م.

- كتاب الصناعتين: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت395هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة – مصر، ط1، 1952م.
- لغة الشعر عند بدر شاكر السياب: فاروق مواسي، الحكيم للطباعة، الناصرة، ط2، 2006م.
- المحاسن والأضداد: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ)، تحقيق: فلوتن، مطبعة الخانجي، القاهرة – مصر، (د.ط)، 1324هـ.
- مختار الصِّحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت666هـ)، ضبط وتصحيح: سميرة خلف الموالي، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت – لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- مطالع البدور ومنازل السرور: علاء الدين علي بن عبدالله البهائي الغزولي (ت815هـ)، مطبعة الوطن, القاهرة – مصر، (د.ط)، 1300هـ.
- معجم الأدباء: شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت626هـ)، دار المستشرق، بيروت – لبنان، (د.ط)، (د.ت).
- معجم البلدان: شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت626هـ)، دار صادر، بيروت – لبنان، (د.ط)، 1955م.
- معجم قبائل العرب: عمر رضا كحالة, المطبعة الهاشمية، دمشق – سورية, (د.ط)، 1368هـ = 1949م.
- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، دار الدعوة، الإسكندرية – مصر، (د.ط)، ١٩٨٩م.
- مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، تحقيق: عبد الله محمد درويش، دار يعرب، دمشق – سوريا، ط١، ٢٠٠٤م.
- مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية (منهج وتطبيق): د. محمد عبد محجوب، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٢، ١٩٧٥م.
- موسوعة مصطلحات ابن خلدون والشريف علي محمد الجرجاني: د. رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، ط1، ٢٠٠٤م.
- الموشى: أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق الوشاء (ت325هـ)، تحقيق: كمال مصطفى، مطبعة الاعتماد، القاهرة – مصر، (د.ط)، 1953م.
- الوصف عند امرىء القيس (دراسة تحليلية): نصر الدين فارس, دار المعارف, حمص – سوريا, ط1, 1988م.
- وفيات الأعيان: أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان (ت681هـ), تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت – لبنان، (د.ط)، 1972م.

ثانياً: الأطاريح والرسائل الجامعية

- صورة البداوة في الشعر العباسي (التهامي أنموذجاً): عائشة عناد، رسالة ماجستير، بإشراف: د. نوال بن صالح، كلية الآداب واللغات، جامعة خيضر – بسكرة، الجزائر، 2012م – 2013م.

ثالثاً: البحوث والدوريات

- أثر البداوة في شعر (خداش بن زهير العامري): د. علي محمد السيد حنورة: مجلة كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالمنوفية، العدد (37)، السنة (يونيو – 2022).
- أثر البيئة في الشعر: عبد الهادي صافي، مجلة الوعي الإسلامي، المجلد (47)، العدد (535)، السنة (2010م).
- خِداش بن زهير العامري (حياته وشعره): د. رضوان محمد حسين النجار، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، المجلد (62)، العدد (2)، السنة (1987م).

The provided sources and references

First: Printed Books:

- "Al-Aghani" by Abu al-Faraj Ali ibn al-Hussein ibn Muhammad al-Isfahani (died 356 AH), Dar Al-Kutub Al-Masriya, Cairo, Egypt, 1927 AD.
- "Al-Fihrist: Muhammad ibn Ishaq ibn Al-Nadim (d. 384 AH)," Al-Rahmaniah Printing House, Cairo, Egypt, (n.d.), 1348 AH.

- "Al-Jami' al-Kabir" by Diya al-Din Ibn al-Athir (died 637 AH), Edited by Dr. Mustafa Jawad and Dr. Jameel Saeed, Printing House of the Iraqi Scientific Assembly, Baghdad, Iraq, 1956 AD.
- "Al-Khasais" by Abu al-Fath Usman ibn Junayd (died 392 AH), Edited by Muhammad Ali al-Najjar, General Cultural Affairs Printing House, Baghdad, Iraq, 4th edition, 1990 AD.
- "Al-Muhasan and Al-Adad: Abu Uthman Amr ibn Bahr Al-Jahiz (d. 255 AH)," Edited by: Floten, Al-Khangi Printing, Cairo, Egypt, (n.d.), 1324 AH.
- "Al-Mu'jam Al-Wasit: The Arabic Language Academy in Cairo," (Ibrahim Mustafa, Ahmed Al-Zayat, Hamed Abdel Qader, and Mohammed Al-Najjar), Dar Al-Dawah, Alexandria, Egypt, (n.d.), 1989.
- "Al-Mushshi: Abu Al-Tayyib Muhammad ibn Ahmed ibn Ishaq Al-Washa (d. 325 AH)," Edited by: Kamal Mustafa, Al-I'timad Printing House, Cairo, Egypt, (n.d.), 1953.
- "An Introduction to the Study of Bedouin Societies (Methodology and Application): Dr. Muhammad Abdel Mahjoub," Al-Matbouaat Agency, Kuwait, 2nd edition, 1975.
- "Ancient Poetry and Modern Critique: Ahmed Wab Romaya," Al-Maarefah Publishing, Kuwait, (n.d.), 1996.
- "Arabic Literature in the Abbasid Era" by Dr. Nazim Rashid, Dar Al-Kutub, Mosul, Iraq, 1410 AH = 1989 AD.
- "Artistic Imagery in the Quran" by Sayyid Qutb, Dar Al-Maaref, Cairo, Egypt, (n.d.), 1963 AD.
- "Deaths of Eminent Men: Ahmed ibn Muhammad ibn Ibrahim ibn Khalkan (d. 681 AH)," Edited by: Dr. Ehsan Abbas, Dar Sader, Beirut, Lebanon, (n.d.), 1972.
- "Description in the Poetry of Imru Al-Qays (Analytical Study): Nasr al-Din Fares," Dar Al-Ma'arif, Homs, Syria, 1st edition, 1988.
- "Dictionary of Arab Tribes: Omar Rida Khala, Al-Hashemi Printing House, Damascus, Syria, (n.d.), 1368 AH = 1949 AD.
- "Dictionary of Countries: Shahab Al-Din Ya'qub ibn Abdullah Al-Hamawi (d. 626 AH)," Dar Sader, Beirut, Lebanon, (n.d.), 1955.
- "Diwan al-Ma'ani" by Abu Hilal Hasan ibn Abdullah ibn Sahl al-Asqari (died 395 AH), Al-Quds Printing House, Cairo, Egypt, (n.d.), 1352 AH.
- "Diwan al-Sababa (On the Margin of Decorating the Markets)" by Shihab al-Din Ahmad ibn Abi Hijla al-Tilmisani (died 776 AH), Bulaq Press, Cairo, Egypt, (n.d.), 1291 AH.
- "Diwan 'Amr ibn al-Abras" Edited by Dr. Hussein Nassar, (n.d.), Cairo, Egypt, 1377 AH = 1957 AD.
- "Diwan 'Antarah ibn Shaddad al-Abasi" Edited by Abdul Munim Abdul Raouf Shalabi, (n.d.), Cairo, Egypt, 1958 AD.
- "Diwan 'Antarah ibn Shaddad al-Abasi" Edited by Abdul Munim Abdul Raouf Shalabi, (n.d.), Cairo, Egypt, 1958 AD.
- "Diwan Bashr ibn Abi Khazim" Edited by Dr. Azza Hassan, Tarqi Printing, Damascus, Syria, (n.d.), 1960 AD.
- "Diwan Ubayd ibn al-Abras" Edited by Dr. Hussein Nassar, (n.d.), Cairo, Egypt, 1377 AH = 1957 AD.
- "Diwan Zuhayr ibn Abi Salma" Edited by Professor Mustafa al-Saqqa, Al-Babi al-Halabi Printing House, Cairo, Egypt, (n.d.), 1948 AD.
- "Encyclopedia of Ibn Khaldun's Terminology and Al-Sharif Ali Muhammad Al-Jurjani: Dr. Rafiq Al-Ajam," Lebanon Publishers, Beirut, Lebanon, 1st edition, 2004.

- "History of Arabic Literature (Pre-Islamic Era)" by Dr. Shoukry Dief, Dar Al-Maaref, Cairo, Egypt, 11th edition, (n.d.(.
- "History of Arabic Literature (The First Abbasid Era)" by Dr. Shoukry Dief, Dar Al-Maaref, Cairo, Egypt, 14th edition, 1966 AD.
- "History of Arabic Literature (The Second Abbasid Era)" by Dr. Shoukry Dief, Dar Al-Maaref, Cairo, Egypt, 2nd edition, 1973 AD.
- "History of the Arabs Before Islam" by Dr. Jawad Mohammed Ali, Freedom Printing Press, Baghdad, Iraq, (n.d.), 1958 AD.
- "Ibn Khaldun's Introduction: Abd al-Rahman Ibn Khaldun (d. 808 AH)," Edited by: Abdullah Muhammad Darwish, Yiarub Publishing, Damascus, Syria, 1st edition, 2004.
- "In Modern Literary Criticism (Foundations and Applications): Dr. Faiq Mustafa and Dr. Abdul Rida Ali," Al-Kitab Publishing, Mosul, Iraq, 1st edition, 1989.
- "Jamil Buthayna and Virgin Love" by Dr. Khresto Najm, Dar Al-Ra'id Al-Arabi, Beirut, Lebanon, (n.d.), 1402 AH = 1982 AD.
- "Jumharat al-Lughah" by Abu Bakr Muhammad ibn al-Hasan ibn Doreid (died 321 AH), Published and Edited by Kurniku, Hyderabad, (n.d.), 1344 AH.
- "Linguistic Investigations" by Dr. Nasser al-Asad, Arab Institute for Studies and Publishing, Amman, Jordan, 1st edition, 2003 AD.
- "Literary Figures Dictionary: Shahab Al-Din Ya'qub ibn Abdullah Al-Hamawi (d. 626 AH)," Al-Mustashriq Publishing, Beirut, Lebanon, (n.d.), (n.d.).
- "Longing and Exile in Arab Poetry (Longing for Homelands)" by Dr. Yahya Al-Jubouri, Dar Majdalawi, Amman, Jordan, 1st edition, 1428 AH = 2008 AD.
- "Maatali Al-Budur and Manazil Al-Surur: Alaa Al-Din Ali ibn Abdullah Al-Baha'i Al-Ghazoli (d. 815 AH)," Al-Watan Printing, Cairo, Egypt, (n.d.), 1300 AH.
- "Mukhtar Al-Sihah: Muhammad ibn Abi Bakr ibn Abd al-Qadir Al-Razi (d. 666 AH)," Organized and Corrected by: Samira Khalfa Al-Mawali, Arab Center for Culture and Sciences, Beirut, Lebanon, (n.d.), (n.d.).
- "Nature in Pre-Islamic Poetry: Dr. Nouri Hamoudi Al-Qaisi," World of Books, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1425 AH (2004).
- "Poetry and Poets" by Abu Muhammad Abdullah ibn Muslim ibn Qutaybah al-Dinawari (died 276 AH), Published and Distributed by Dar al-Thaqafah, Beirut, Lebanon) ,
- "Poetry of Hussein ibn Mutair al-Asadi" Collected and Edited by Dr. Mohsen Ghayyad, General Cultural Affairs Printing House, Baghdad, Iraq, (n.d.), 1989 AD.
- "Rasa'il al-Jahiz (The Letter of Longing for Homelands)" by Abu Uthman Amr ibn Bahr al-Jahiz (died 255 AH), Edited by Abdul Salam Harun, Khangi Printing House, Cairo, Egypt, (n.d.), 1343 AH = 1965 AD.
- "Salamat al-Lali fi Sharh Amali al-Qali" by Abu Ubayd Abdullah ibn Abdul Aziz al-Bakri (died 487 AH), (n.d.), Cairo, Egypt, 1936 AD.
- "Tahdhib al-Lughah" by Abu Mansur Muhammad ibn Ahmad al-Azhari (died 370 AH), (n.d.), Cairo, Egypt, (n.d.), 1966 AD.
- "The Art of Poetry: Aristotle Thales," Translation: Dr. Ibrahim Hammadah, Anglo Egyptian Library, Cairo, Egypt, (n.d.), 1983.
- "The Bedouin Image in Abbasid Poetry: Diaa Abdel Razzaq Al-Ani," Dijla Publishing, Amman, Jordan, 1st edition, 2010.
- "The Book of the Two Crafts: Abu Hilal Hasan ibn Abdullah ibn Sahl Al-Askari (d. 395 AH)," Edited by: Ali Muhammad Al-Bajawi and Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Ihya Al-Kutub Al-Arabiyya, Cairo, Egypt, 1st edition, 1952.

- "The Crown of the Bride from the Gems of the Dictionary" by Sayyed Muhammad Mortada Al-Husseini Al-Zubaidi (died 1205 AH), Edited by a group of scholars, Dar Al-Huda, Alexandria, Egypt, (n.d.(.
- "The Language of Poetry in the Works of Badr Shakir Al-Sayyab: Farouk Mawassi," Al-Hakeem Printing, Nazareth, 2nd edition, 2006.
- "The Layers of Poets: Abu al-Abbas Abdullah ibn Mu'taz (d. 296 AH)," Edited by: Abdul Sattar Ahmed Faraj, Al-Ma'arif Publishing, Cairo, Egypt, (n.d.).
- "The Story of Literature in the Hijaz: Dr. Abdullah Abdul Jabbar and Dr. Mohammed Abdul Mun'im Khafaji," Al-Azhar University Libraries, Cairo, Egypt, (n.d.), 1980.
- "The Structure of the Journey in Pre-Islamic Poetry (Myth and Symbol)" by Omar ibn Abdul Aziz, Arab Diffusion Foundation, Beirut, Lebanon, 1st edition, 2009 AD.
- "The Symbol of Water in Pre-Islamic Poetry" by Thanaa Anas, Qubaa Publishing House, Cairo, Egypt, (n.d.), 2000 AD.
- "Treasury of Literature and Lab Lubb of the Arabic Language" by Abdul Qadir ibn Amar al-Baghdadi (died 1093 AH), Bulaq Press, Cairo, Egypt, (n.d.), 1299 AH.
- "Virgin Love (Its Origins and Development)" by Dr. Ahmed Abdulsattar Al-Jawari, Arab Institute for Studies and Publishing, Beirut, Lebanon, 1st edition, 2006 AD.

Secondly: The academic theses and university letters:

- "The Image of Nomadism in Abbasid Poetry (Al-Tahami as a Model): Aisha Anad," Master's Thesis, Supervised by: Dr. Nawal Ben Saleh, Faculty of Arts and Languages, Kheider University, Biskra, Algeria, 2012-2013.

Thirdly: Research Papers and Journals:

- "Khidash ibn Zuhayr Al-Amiri (His Life and Poetry): Dr. Radwan Mohamed Hussein Al-Najjar," Journal of the Arabic Language Academy in Damascus, Syria, Volume 62, Issue 2, 1987.
- "The Impact of Nomadism on the Poetry of Khidash ibn Zuhayr Al-Amiri: Dr. Ali Mohamed Al-Sayed Hanoura," Journal of the Faculty of Arabic Language at Al-Azhar University in Menoufia, Issue 37, June 2022.
- "The Impact of the Environment on Poetry: Abdul Hadi Safi," Al-Waie Al-Islami Magazine, Volume 47, Issue 535, 2010.